كيت دي كاميلو

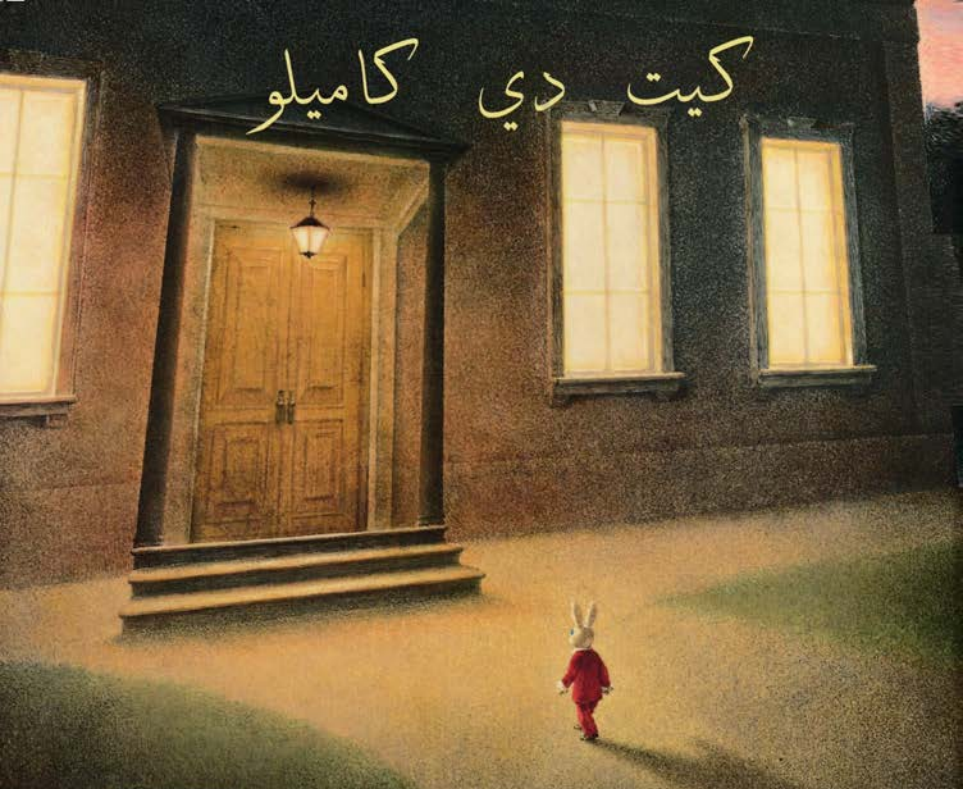

مكتبة ياسمين

رحلة إدوارد تولين الرائعة

الرسومات: بيغرام إباتولين

رحلة إدوارد تولين الرائعة

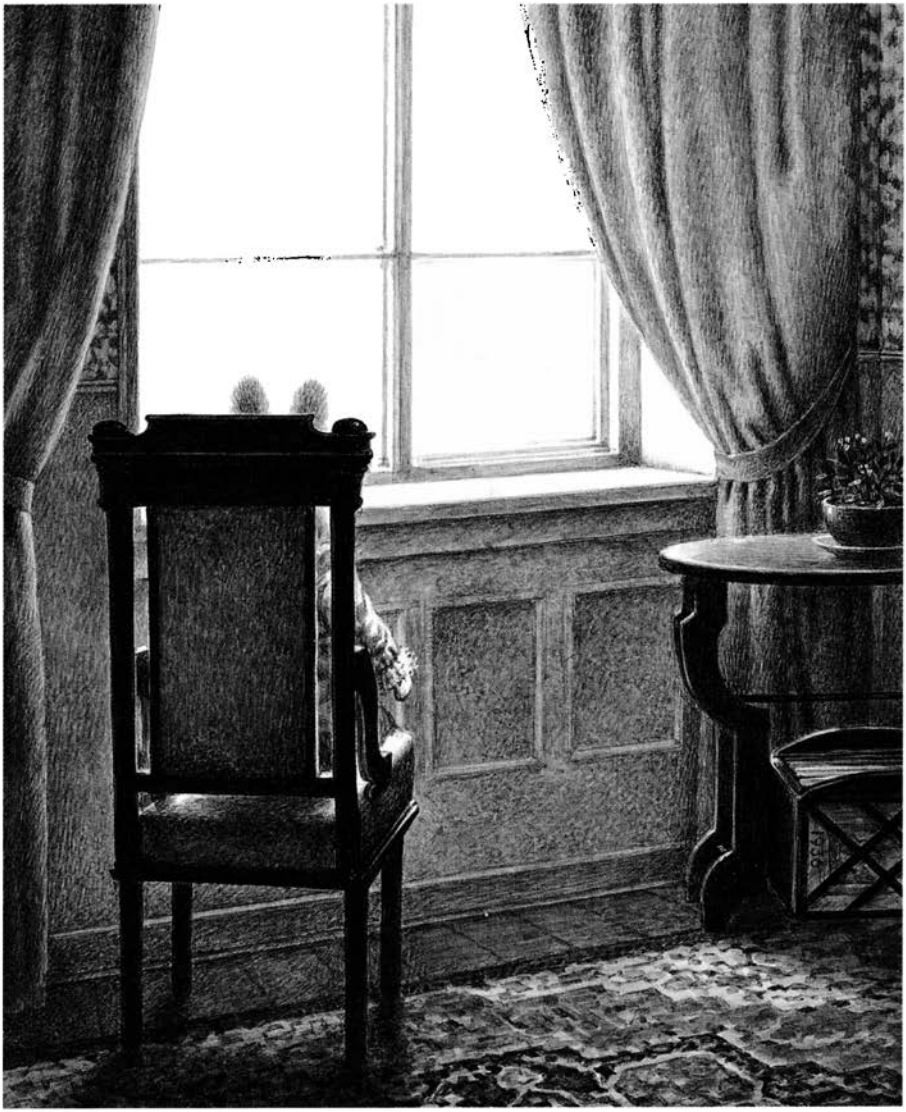

رحلة إدوارد تولين الرائعة

قصة: كيت دي كاميلو

الرسومات: بيغرام إباتولين

النص العربي: علاء أبو زينه

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

دار المنى

إلى جين ريش توماس،
التي أهدت لي الأرنب وأعلمتني باسمه

رحلة إدوارد تولين الرائعة

Arabic edition © Dar Al-Muna 2013
Text: Copyright © Kate DiCamillo 2006
Illustrations: Copyright © Bagram Ibatoulline
Printed in agreement with Walker Books limited, London
Original title in English: The Miraculous Journey of Edward Tulane
Arabic text: Ala Abu Zeineh
ISBN 978 91 85365 45 6
Tryck: ScandBook AB, Falun 2019

www.daralmuna.com
Dar Al-Muna
Box 127, SE 182 05 Djursholm, Sweden

ينكسر القلب، وينكسر
ويحيا القلب بالانكسار.
ينبغي المضي، أعمق فأعمق، عبر الظلام
لكن لا ينبغي الرجوع.

من «شجرة الاختبار» لستانلي كونيتز

رحلة إدوارد تولين الرائعة

الفصل الأول

في ذات مرَّة، في منْزِلٍ في شارع مِصْرَ، عاشَ أرْنبٌ مَصنُوعٌ كلُّهُ تقْريبًا مِنَ الخَزَفِ الصِّينيّ. كانتْ له ذراعَان خَزَفيَّتان، وأرْجلٌ خزَفيَّةٌ، ومخَالبُ خَزَفيَّةٌ ورأسٌ خَزَفيٌّ وصَدْرٌ وأنفٌ خَزَفيّان، تتَّصلُ ذراعَاهُ وساقاهُ بالأسْلاك، بحيثُ يَستطيعُ أنْ يَطويَ كوعَيه الخَزَفيَّين ورُكبتَيه الخزَفيَّتَين على نَحْوٍ أعْطاهُ الكَثيرَ مِنْ حُرِّيَّة الحرَكَة.

أذُناهُ كانَتا مَصْنوعَتين مِنْ فِراءِ الأرانبِ الحقيقيّ. وتحتَ الفِراء، وُضِعَتْ لَهُ أسلاكٌ قويَّةٌ قابلةٌ للانثناء، سَمَحَتْ لأذُنَيه بأنْ تتَّخذا أوضَاعًا تَعكسُ مزاجَهُ، فيظهَرُ منهُما ما إذا هو مَسْرورٌ أو مُتعبٌ أو مَسْكونٌ بالهَواجسِ والضَّجَر. وأمّا ذيلُهُ فصُنعَ بدورِهِ مِن فِراءِ الأرانبِ الحقيقيّ ليبدوَ ذيلاً ناعمًا ومُنمَّقًا كمَا ينبَغي.

كان اسمُ الأرنب إدوارد تولين، وهوَ أرْنبٌ طَويلٌ يَقْتَربُ طُولُهُ منْ ثَلاثةَ أقْدام منْ طَرَف أذُنيْه حتّى أطراف أصابع قدَمَيْه؛ ولَعَينَيه لَونٌ أزرقُ أخَّاذٌ يَشي بالذَّكاء.

في المُجمَل، رأى إدوارد نَفْسَهُ كائنًا استثْنائيًا. شارِباهُ وحْدَهُما هُمَا اللذان جَعلاهُ يتوقَّفُ قليلاً ويَتأمَّل. شارِبان طويلان أنيقان (كما ينْبغي لهُمَا أنْ يَكوُنا)، لكنَّهما جاءا من مَصْدَرٍ مشكوك في أمرِه، وقد خالجَهُ شُعورٌ قويٌّ بأنَّهما لَيسا شارِبَي أرنَب. أمَّا لمَنْ يعودُ الشّاربان في الأصل – إلى أيِّ حَيَوانٍ كَريه- فذاكَ سؤالٌ لَمْ يرغب إدوارد في إطالَة التّوقُّف عندَه. وقد فضَّلَ في غالبِ الأحيانِ أنْ لا يحتفظَ طويلاً بالأفكارِ السَّيِّئَة.

كانَتْ صاحبَةُ إدوارد وسيِّدتهُ في العَاشرة من عُمرها؛ فتاةً داكنةَ الشَّعرِ تُدعى أبيلين تولين.. مُعْتدَّة بنفسها بقدْرٍ لا يقلُّ عن اعتدادِ إدوارد بنَفسِه. وفي كلِّ صَباح، وبعدْ أنْ ترتدِيَ ملابسَها المدرسيَّة، تُلْبسُ أبيلين إدوارد ثيابَهُ.

امتَلَك الأرنبُ الخزَفيُّ خِزانَةَ ملابسَ غَيرَ عاديَّة، ولطالما تهندمَ منها بأرْديةٍ غيرِ عاديّة، تتألّفُ من بدْلات حَريريَّة يدويَّة الصُّنع، وأحذيةٍ تقليديَّةٍ جميلةٍ مصنُوعَةٍ من أفضَل أنواعِ الجِلْد،

صُمِّمَتْ خصِّيصًا لتُناسبَ أَقدامَهُ الأَرنبيَّة. إضافةً إلى طائفَة واسعَة من القُبَّعات المزودَّة بثُقوب مُناسبة حتى تستَقرَّ بيُسْر على أُذُنيْ إدوارد الكبيرَتَيْن المعَبَّرَتيْن، ولكُلٍّ واحد مِنْ سَراويله جَيْبٌ صغيرٌ يضَعُ فيه ساعَةَ جَيبه الذَّهبيَّة التي تُعبِّئها له أبيلين كلَّ صَباح.

قالتْ أبيلين لَهُ بَعْدَ أَنْ انتَهَتْ من تعبئَة الساعَة: «الآن، يا إدوارد، عندَما يُشيرُ العَقْربُ الطويلُ إلى الثانيةَ عشرة والقصيرُ إلى الثالثة، سَأكونُ قَد عُدْتُ إلى البَيت من أجلك.»

اعتادَت أبيلين أن تُجلسَ إدوارد على مَقْعَد في غُرفَة الطَّعام، وتُديرَ المقْعَدَ بحيثُ يستطيعُ النَّظرَ من النافذة إلى الخارج، ويَرى الممَرَّ المُفْضيَ إلى بوَّابَة مَنْزل أبيلين الخارجيَّة. وكانتْ أبيلين تضَعُ السَّاعَةَ بتوازُن على ساقه اليُسْرى، وتُقَبِّلُ أطرافَ أُذُنَيه، ثم تُغادر، بينَما يُمضي إدوارد سَحابَةَ اليَوم مُحدِّقًا إلى شارع مِصْرَ، مُستَمعًا إلى دَقَّات السَّاعَة، ومُنتَظرًا.

مِنْ بَين كلِّ فُصول السَّنة، فضَّلَ الأرنبُ فصْلَ الشِّتاء على غَيره من الفُصُول، لأَنَّ الشَّمسَ تَغيبُ فيه باكرًا بحيثُ تُصبحُ غُرفَةُ الطَّعام مُعتمَةً، ويَسْتطيعُ إدوارد أنْ يَرى انعكاسَ صُورَته على الزُّجاج. ويا لَهُ من انعكاس! ويا لِلمَظْهرِ الأَنيقِ الذي يَبْدو عليه

آنذاك!! وما كَفّ إدوارد مُطلقًا عن إبْداءِ دهْشته من جَمَاله المُميّز الخاصّ.

في المساءات، اعتادَ إدوارد أنْ يجلسَ إلى مائدَة غُرفَة الطَّعام مَعَ بَقيَّة أفراد عائلَة تولين: أبيلين؛ وأمّها وأبيها، وجدَّة أبيلين التي تُدعى بيليغرينا. صَحيحٌ أنَّ أذُنيْ إدوارد قليلاً ما فارَقَتا غطاءَ المائدَة، وصَحيحٌ أيضاً أنَّهُ كثيراً ما يَقضي فَترَةَ تناوُل الطَّعام وهُوَ يَنظُرُ مُباشَرَةً إلى الأَمام، لا إلى شَيءٍ سوى بياض غطاء المائدَة الأبيض الناصع الذي يُغْشي البَصَر. لكنْ كان هُناكَ أرْنَبٌ على الطاولة.

رأى والدا أبيلين أنَّه من الرَّائع أنْ تعتَبرَ ابنتُهُما إدوارد أرْنبًا حَقيقيًّا، وأنْ تَطلُبَ أحياناً أن يُعادَ قَولُ عِبارَةٍ أو قِصَّةٍ لأنَّ إدوراد لَمْ يَسمعْها جيدًا.

فتقول أبيلين أَحياناً: «بابا.. أَخشى أنَّ إدوراد لَمَ يَلْتَقطْ هذا الجُزْء.»

عندَئذ، يلتفتُ والدُ أبيلينَ برأسه نحو جهَة أُذُنَيْ إدوارد ويتحدَّثُ ببُطء، مُعيداً ما قالَهُ تَوًّا ليسمَعَهُ الأرنَبُ الخَزَفيّ. بينَما إدوارد يتَظاهَرُ، مِنْ بابِ الكِياسَةِ تجاهَ أبيلين، بأنَّهُ يَسْتَمِع. لكنَّهُ

لم يهتمَّ حقيقةً بما يقولُهُ النَّاس. ولَم يُبالِ أيضًا بوالدَيْ أبيلين وبسُلوكِهما المُتعالي اتجاهَهُ. كانَ كُلُّ الرَّاشدينَ، في حقيقةِ الأمْر، يَنظُرون إليه بتَعالٍ.

جَدَّةُ أبيلين فقطْ هيَ التي دَرَجت على التَّحدُّث إليه كَما تَفْعَلُ أبيلين نفسُها، أي كما يَتحدَّثُ المَرْءُ إلى نَظيرٍ لَهُ. كانَتْ بيليغرينا مُسنَّةً جدًّا. ولَها أنفٌ كَبيرٌ جدًّا، وعينانِ سَوداوانِ مُشرِقَتانِ تلْتَمعانِ مِثْلَ نَجمَتَينِ في الظَّلام. وهي في الواقعِ المسؤولة عن وجودِ إدوارد لأنَّها مَن أمَر بصُنعه، ومَن أمَر بحياكة بدلاته الحريريَّة وتصميم ساعَة جَيْبه، وقُبَّعاته المَشغُولَة بعنايةٍ، وأذُنَيه القابلَتَينِ للانثناء، وأحذيته المَصْنُوعَة مِنَ الجلْد الفاخر، وذراعَيه وساقَيه ذواتِ المَفاصل. كُلُّ هذه الأشياءُ صَنَعَها حرَفيٌّ مَاهرٌ في بَلَدها الأصليّ، فرنْسا. وبيليغرينا هيَ التي قدَّمتْهُ هَديَّةً لأبيلين في عيدِ ميلادِها السَّابع.

وبيليغرينا أيضاً هيَ التي تَجيءُ كُلَّ لَيلَةٍ لتُرْقِدَ أبيلينَ في سريرِها وتضَعَ إدوارد في سَريره.

وفي كُلِّ ليلَةٍ تسأل أبيلين جَدَّتَها: «هَلاَّ حَكَيْتِ لَنا حِكايَةً، يا بيليغرينا؟»

«ليسَ اللَّيلَةَ، يا سيِّدَة،» تقولُ بيليغرينا.

فتسألها أبيلين مُجدَّداً: «مَتى؟ في أيِّ لَيلَة؟»

«قَريباً، قريباً سأحْكي لكِ حكايَةً،» تجيبها بيليغرينا.

وعندئذٍ، تُطفِئُ الضَّوءَ، ويَستلقي إدوارد وأبيلين في غُرفَةِ النَّوم المُعتمَة.

وكلَّ ليلَة تقول أبيلين لإدوارد بعدَ أنْ تُغادِرَ بيليغرينا: «أنا أُحبُّكَ يا إدوارْد.»

تَنطقُ بهذه الكلماتِ ثُمَّ تَنتظِر، كما لَوْ أنَّها تتوقَّعُ أنْ يقولَ إدورْاد شَيئاً في المُقابِل.

لكن إدوارد لا يقولُ شيئًا؛ لأنَّهُ لا يستطيعُ أَنْ يتكلَّمَ طبعًا.

كانَ يستلقي في سَريرِهِ الصَّغيرِ إلى جَانبِ سَريرِ أبيلينَ الكَبير، يُحَدِّقُ عاليًا إلى السَّقْفِ ويسْتَمِعُ إلى صَوتِ أنفاسِها وهي تدخُلُ صدرَها وتُغادِرُه، مدركًا أنَّها سُرعانَ ما تستغرقُ في النَّوم.

كانتْ عينا إدوارْد ملوَّنَتَينِ ومَفتوحَتَينِ، وبما أنه لا يستطيعُ أنْ يُطبقَهُما.. يظلّ مُستَيقِظًا عَلى الدَّوام.

في بَعضِ الأحيان، قد تُرْقِدُه أبيلين في سريرِهِ على جانبِه بدَلاً مِنْ ظَهرِه، فيتَسنى له أن يرَى اللَّيلَ المظلمَ في الخارجِ مِنْ

خلالِ شُقوقِ السَّتائِر. وفي اللَّيالي الصَّافية، عندما تلمعُ النجومُ تُشيع أضواؤها الصافيةُ الرّضا في نَفسه بطريقة يَعْجَزُ عن فهْمها جيّدًا. وفي أغلَبِ الأَحيان، يواصلُ التّحديقَ إلى النُّجوم طيلَةَ اللّيلِ حتى يَنسَحِبَ الظلامُ أخيراً، مُفسِحًا الطّريقَ أمامَ مطلعِ الفَجْر.

telegram @
yasmeenbook

الفصل الثاني

هكذا مرَّت الأيامُ على إدوارْد، واحداً تلوَ الآخَر، وَلَمْ يحدُثْ شَيءٌ خارقٌ للعَادَة. آه، هُناكَ فقط تلكَ الدّراما المنْزليَّة العَرَضيّة. مَرَّةً، وأبيلين في المدرَسَة، جاءَ كَلْبُ الجيران المُبقَّع مِنْ فَصيلَة بوكسر، كلبٌ ذَكَرٌ يُدعى روزي، على نحو يتعذَّرُ تفسيرُه. جاءَ الكلْبُ إلى المنْزِل بلا دَعْوَة ولا إخْطار. رَفَعَ قدَمَهُ على طاوِلَة غُرفَة الطَّعام، وَرَشَّ غطاءَ المائدَة برَذاذِ البَوْل. وبَعدَ ذلك، داسَ عليْها وتشمَّمَ إدوارْد. وقَبْلَ أَنْ يُتاحَ الوقتُ لإدوارد للتَّفكيرِ في ما تَنطَوي عَلَيه فكْرَةُ أنْ يتشمَّمَهُ كلْبٌ، وجد نَفْسَهُ في فَم روزي الذي أخذ يَهُزُّهُ جيئَةً وذَهاباً بشَراسَة وهُو يُرغي ويُزبد.

لحُسْنِ الحظّ، مرَّتْ والِدَةُ أبيلين بغُرفةِ الطَّعامِ وشاهَدَتْ مِحنَةَ إدوارْد.

صرَخَتْ في روزي: «اترُكْهُ!»

وفَعلَ روزي الذي أخذَتْهُ المُفاجأةُ بما أُمِرَ به.

تلطّخت بدْلةُ إدوارد الحريريَّة باللُّعاب، وظَلَّ رأسُهُ يُؤلمُهُ بعدَ ذلكَ لعدَّة أيام، لكنَّ كرامَتَهُ هيَ التي لحِقَها الضَّررُ الأكبرُ. لقدْ أشارَتْ إليه والدَةُ أبيلين بضَميرِ الغائبِ الذي يدلُّ على الجَمادات، وقَدْ أغضَبَها بَولُ الكَلبِ على غِطاءِ مائدتِها أكثَرَ ممّا فَعَلتْهُ المَهانة التي عانى منها إدوارْد بَينَ فكّي روزي.

«ماذا يفعَلُ هذا الأرنبُ الصَّغيرُ هُنا؟» قالتْ بصوتٍ عالٍ.

لم يَسْتلطِف إدوارد مطلقًا عِبارَةِ «أرنب صغير». ووجدها مُهينَةً إلى أبْعَدِ الحُدود.

انحنَتْ الخادمةُ عَليه ونَظرَتْ إلى عَيْنَيه.

«هَممم،» قالت، ثمَّ عَادتْ ووقَفت. وَضعَتْ يدَيْها على وِرْكَيْها، وأرْدَفت: «أعتقِدُ أنَّكَ مثلُ أيِّ شَيءٍ آخرَ في هذا البَيت يحتاجُ إلى التنظيف ونفضِ الغُبارِ عَنْهُ.»

وهكذا، نظَّفَت الخادمَةُ إدوارد تولين بمكْنَسَة الغُبار الكَهرَبائيةِ. امتصَّتْ كُلاً مِنْ أذُنَيْه الطويلَتَين بخُرطومِ المِكْنَسةِ

صرَخَتْ في روزي: «أترُكْهُا!»

الكَهرَبائية. ضَرَبتْ عَلى مَلابسه وضَرَبتْ عَلى ذَيله. وشفطت الغُبارَ عَنْ وَجهه بالمكْنَسَة بقوّة ومَهارَة. وفي غَمرَة حماسَتها لتَنْظيفه، كنَسَتْ بمكْنَسَة الغُبار ساعَةَ جَيْب إدوارْد الذَّهبيَّة منْ حضْنه. فدَخلَت الساعَةُ في مَعدَة المكنَسَة الكَهرَبائيَّة وسقَطَتْ فيها مُحدثَةً صوتاً كَئيباً مكتومًا، ولم يَبْدُ على الخادمة أنَّها تكلّفتْ عَناءَ سماعه.

عندَما انتَهَتْ، أَعادتْ الخادمَةُ مقْعَدَ مائدَة الطَّعام إلى مَوضعه عندَ المائدَة. ونظرًا إلى عَدَم تأكُّدها من المكان الذي يَنْتَمي إليه إدوارد، استَقَرَّ بها القرارُ أخيرًا على أنْ تُلقي به بين الدُّمى الأُخرى عَلى الرَّفِّ في غُرفَة نَوم أبيلين.

«حَسَناً، ها أنتَ ذا هُنا،» قالَت الخادمَة.

ترَكَت الخادمَةُ إدوارد على الرَّفِّ في أكثَر الأوضاع غَرابَةً ولا إنسانيَّةً —كانَ أنفُهُ يُلامسُ رُكْبَتَيه فعليًّا- وقَبَعَ مُنتَظراً هُناكَ، بينَما الدُّمى تُثَرثرُ من حَولهُ وتُقَهْقهُ مثلَ سِرْب منَ الطُّيور المَعتُوهَة والمُعاديَة، حتّى عادَتْ أبيلينُ منَ المدرَسة ولم تَجدْه، فراحَت تركضُ من غرفة إلى غُرْفَة وهي تُنادي باسْمه:

«إدوارد!» صَرخت. «إدوارد!»

لَمْ تكُنْ لدَيْه، بطبيعَة الحَال، أَيُّ طَريقَة ليجعَلَها تَعرِفُ مَكانَهُ، ولا أَيُّ وسيلة أخرى للرَّدِّ عليْها. لم يَسْتطعْ فِعْلَ شيءٍ سِوى الجُلُوسِ والانتظار.

عندَما وجدَتْهُ أبيلين أَخيراً، احتضَنَتْهُ بلهْفَة، وجَعَلَهُ قُربُه البالغُ منها يَسمعُ دقّاتِ قلبِها بوضوحٍ، وقد كادَ أنْ يَقفِزَ مِنْ صَدْرِها بسبَبِ انفعالِها.

«إدوارد!.. أوه، إدوارد!» قالت. «أنا أُحبُّك. ولا أُريدكَ أن تبْتَعدَ عني أبدًا.»

أمّا الأرنبُ، فقد شعرَ هو أيضاً بعاطفة كَبيرة، لكنَّها ليست عاطفةَ الحبِّ، بل ألمٌّ به شعورٌ بالضِّيقِ لأنَّهُ عُومِلَ بطريقَةٍ مُزعِجَة إلى حَدٍّ بعيد، ولأنَّ الخادِمَةَ تَصَرَّفتْ معَهُ بعدم اكتراث، كَما قد تفعل مَعَ أيِّ شَيءٍ لا حياةَ فيه، كوِعاء طعام مثلاً، أو إبريقِ شاي.. والشيءُ الـمُرضي الوحيدُ في الأمْرِ كُلِّهِ أنَّ تِلكَ الخادِمَةَ الجديدَةَ طُرِدَتْ على الفَوْر.

تمَّ تَحْديدُ مَوضِعِ ساعَةِ جَيْبِ إدوارْد فيما بَعْد، قابِعَةً في أعْماقِ أحشَاءِ المكنَسَةِ الكَهرَبائية. كانت ما تزالُ تعملُ على الرُّغم من أنَّها انْبعَجَت. وقَدْ أعادَها إليهِ والِدُ أبيلين الذي قَدَّمَها

لَهُ مَعَ انحناءَة سَاخِرَة، قائلاً:

«سَيِّدْ إدوارد، سَاعتُكَ، كمَا أعتَقدُ.»

صارَت قِصَّةُ روزي وحادِثَةُ المِكْنَسَة الكَهرَبائية هي أكثرَ الأَحداث دراميَّةً في حَياة إدواردَ حتى لَيلَة عيد ميلاد أبيلينَ الحادي عَشَر، عنْدَما جَاءَ ذِكْرُ السَّفينَة علَى مَائدَة الطَّعام في أثناءِ تقْديم الكَعْكَة.

الفصل الثالث

«**إنَّها** تُدعَى 'الملكة ماري'،» قالَ والدُ أبيلين. «وسَوفَ نُبحِرُ، أنتِ وأنا وأُمُّكِ علَى مَتْنِها كُلَّ الطَّرِيقِ إلى لَنْدَن.»

«ماذا عَنْ بيليغرينا؟» سألت أبيلين.

«لن أذهبَ، سأَبقى هنا،» أجابتْ بيلغيرينا.

لَمْ يَكُنْ إدوارد يَسْتَمِعُ بالطَّبع. وقَدْ وَجَدَ الحديثَ الدّائرَ حَولَ مائِدَةِ الطَّعامِ مُضْجِراً على نَحْوٍ مُعذِّب؛ بَلْ إنهُ رأى حِكْمَةً في عَدَمِ الاستماعِ لَوْ أَنَّهُ اسْتطاعَ تدبُّرَ ذلك. لكنَّ أبيلين فعَلَتْ عِندَئذٍ شَيئاً غَيرَ عاديّ، شَيئاً أجبرَهُ على الانتباه. فبينما استمَرَّ الحديثُ عَنِ السَّفينَة، ذهَبَتْ أبيلين إلى إدوارد وتَناوَلَتْهُ عَنْ مقْعَدِهِ ووَضَعتْهُ في حِضْنِها.

«ماذا عَنْ إدوارد؟» قالتْ بصوتٍ عالٍ يُخالِطهُ عَدَمُ اليَقين.

«ماذا عنْهُ يا عَزيزَتي؟» استفسرتْ أمُّها.

«هل سيُسافِر إدوارد عَلى 'الملكة ماري' مَعَنا؟»

«حَسَناً، بالطَّبْع إذا أرَدْت هذا، ولوْ أنَّكِ أصبَحْتِ كَبيرةً قَليلاً على أشياءَ مِثلَ الأرانِبِ الخَزَفيَّة.»

«كلامٌ فارِغ،» قالَ والِدُ أبيلين بِمَرَح. «مَن الذي سيَحمي أبيلين إنْ لَمْ يكُنْ إدوارد هُناك؟»

مِنْ أكْثَرِ الأماكِنِ المُريحَة على حِضْنِ أبيلين، اسْتطاعَ إدوارد أنْ يَرى المائِدَة بأكمَلِها مُمْتَدَّةً أمامَهُ بطَريقَةٍ لَمْ يستطعْ أنْ يراها بها مطلقًا في السابقِ من مَجلسه المعتادِ في مقْعَده. نَظَرَ إلى المَجموعَةِ اللاَّمعة مِنَ القِطَعِ الفضيَّة والكُؤوسِ والأطباق. ورأى نَظراتِ والِديْ أبيلين الضَّاحِكَةِ والمُتعاطِفَة. ثُمَّ وقعَتْ عَيْناهُ على بيليغر ينا.

كانَتْ تَنظرُ إليه بالطريقَةِ التي يُمْكن أنْ يَتفحَّصَ بها عُقابٌ يتعلَّقُ بكَسَلٍ في الهواءِ فأراً على الأرض. ولَعلَّ فِراءَ الأرانِبِ على أُذُنَيْ إدوارد وذيله، والشاربيْن عندَ أنفِهِ ما زالت جميعُها تحتفظُ

ببعْض الذِّكريات الكئيبة عَن التعرُّض للاصطِياد، لأَنَّ القُشْعَريرَةَ سرَتْ في جَسَده من تلكَ النظرة.

قالتْ بيليغرينا من غَير أنْ ترفَعَ عَينيْها عَنْ إدوارد: «نعَمْ، مَنِ الذي سيعْتَني بأبيلين إذا لَمْ يَكُنْ الأرنبُ هُناك؟»

في تلْكَ الليلَة، عندَما سَألتْ أبيلين، كَما في كُلِّ ليلَة، عمَّا إذا كانت هُناكَ قِصَّةٌ، قالَتْ بيليغرينا، «الليلةَ يا سيدَتي، لدينا حِكايَةٌ.»

جَلسَتْ أبيلين في سريرِها، وقالتْ: «أعتَقِدُ أن إدوارد يحتاجُ إلى أَنْ يَجلِسَ هُنا مَعي، ليتمكَّنَ هو أيضًا من سماع القصَّة.»

«نعم، أَظُنُّ أَنَّ هذا أَفضل،» أَجابت بيليغرينا. «أَرى أَنَّ على الأَرْنبِ أَنْ يسْمعَ القِصَّةَ.»

التقطَتْ أبيلين إدوارد، وأجْلَسَتْهُ إلى جانبِها على السَّرير، ودثّرته بالأغطِية، ثُمَّ قالتْ لبيليغرينا «إنَّنا مستعدَّان للاسْتِماع الآن.»

«وإذَنْ،» قالت بيلغرينا، وسَعَلَتْ، «وإذنْ، تبدَأُ القِصَّةُ بأَميرَةٍ.»

«أَميرَةٌ جَميلَة؟» سأَلَتْ أبيلين.

«أَميرَةٌ جَميلةٌ جِدًا.»

«كَمْ هِيَ جَميلَة؟»

«يجِبُ أنْ تستَمِعي!» قالتْ بيليغرينا. «كلُّ شَيءٍ في الحِكايَة.»

الفصل الرابع

«في ذات يوم، كانتْ هُناكَ أميرَةٌ جَميلةٌ جدًا... تُشِعُّ مِثلَ النُّجُومِ علَى صفْحَةِ لَيلٍ بِلا قَمَر. ولكنْ، أيُّ فَرقٍ يمكنُ أن يُحدِثَهُ كونُها جَميلَةً؟ لا شيءَ، لا فَرْقَ على الإطلاق.»

«لماذا لَمْ يُحدِثْ ذَلكَ فَرْقاً؟» سألَتْ أبيلين.

«لأنَّها أميرَةٌ لا تُحبُّ أحدًا،» أجابت بيليغرينا. «ولا تُعنَى بأحَدٍ بدافعِ الحُبّ، مع أَنَّ الكثيرين أحبّوها.»

عِندَ هذهِ النُّقطَةِ مِنْ قِصَّتِها، توقَّفَتْ بيليغرينا ونظَرَتْ إلى إدوارْد. حدَّقَتْ بعُمْقٍ إلى عيْنَيهِ المُلوَّنتَين، وشَعَرَ إدوارد بقُشْعَريرَةٍ تَسري في جسْمِه.

«وهكَذا،» قالَتْ بيليغرينا وهِيَ ما تزال تُحدِّقُ إلى إدوارد.

«ماذا حدثَ للأَميرَة؟» استفْسَرتْ أبيلين.

فالتفَتَت بيلغرينا ثانيةَ نحوَ أبيلين قائلة: «وهكذا، قالَ الملكُ، والدُ الأَميرَة، إنَّ الأميرَةَ يَجبُ أنْ تتزوَّج؛ وبعْدَ ذلكَ مُباشَرَةً، جاءَ أميرٌ مِنْ مملكَة مُجاورَة ورأى الأَميرَةَ، ووقَعَ في حُبِّها في الحال. مَنحَها خاتَماً مِنَ الذَّهبِ الخالص، ووضَعَهُ في إصبَعها. وقالَ لها هذه الكلمات: 'أنا أحبُّكِ.' ولكنْ، هل تَعرفينَ ماذا فَعلَت الأَميرَة؟»

هزَّتْ أبيلين رأسَها بالنّفي.

«ابْتلَعَت الخاتَم. خلعتْهُ مِنْ إصبعها وابتلَعتْهُ. وقالتْ 'هكذا أرى الحبّ'، ثُمّ ركَضَتْ مُبتعدَةً عَن الأَمير. وغادرَت القلعَةَ وذهَبتْ إلى عُمْقِ الغابة، وهكذا.»

سَألتْ أبيلين: «وهكذا ماذا؟ ماذا حدَثَ عندَئذ؟»

«وهكذا، تاهت الأميرَةُ في الغابات. تحوَّلتْ لعِدَّة أيّام. وأخيراً، وصلَتْ إلى كُوخ صَغير، ودقَّتْ على البابِ، وقالَتْ: 'دَعوني أدخُل؛ إنني أشعُرُ بالبرد'.

لَمْ يأتها أيُّ جَواب.

طَرقَتِ البابَ مرَّةً أخرى، وقالتْ: 'دعوني أدخُل، إنني

أشعُرُ بالجوع.'

أجابَها صوتٌ مُخيف. قالَ الصَّوت: 'ادخُلي إذا أردتِ الدخولَ.'

دَخلَت الأميرَةُ الجَميلةُ، ورأتْ ساحِرَةً تجلِسُ إلى طاوِلةٍ وتَعُدُّ قِطَعاً ذَهبيَّةً.

قالت السّاحِرة: 'ثلاثةُ آلافٍ وستمائةٍ، واثنتانِ وعِشرون.'

'أنا تائهة،' قالت الأميرَةُ الجميلَة.

'وماذا يَعني ذلكَ؟ ثلاثةُ آلافٍ، وستمائة، وثلاثٌ وعِشرون،' قالَت السَّاحِرة.

'أنا جائعة،' أجابت الأميرة.

'ليسَ ذلكَ مِنْ شَأني،' قالت السّاحِرة، 'ثلاثةُ آلافٍ وستُّمائة، وأربعٌ وعشرون.'

'لكنني أميرَةٌ جَميلَةٌ!' قالت الأميرة.

'ثلاثةُ آلافٍ، وستُّمائة، وخمسٌ وعشرون،' تابعت السَّاحِرةُ.

'إنَّ أبي ملِكٌ قوي،' أضافت الأميرة. 'يجِبُ أنْ تُساعديني،

وإلا فسَوفَ تكونُ هُناكَ عَواقب.'

'عواقب؟' قالت السَّاحرةُ، ورفعَتْ عينيها عَنْ ذَهَبِها. حدَّقتْ إلى الأميرَة، وقالت: 'أوَتجرُئينَ على إخباري بالعَواقب؟ حَسناً إذَنْ، سنتحدَّثُ عَنِ العَواقب: أخبريني باسمِ شَخْصٍ تحبّينَهُ.'

'حُبّ!' قالت الأميرَةُ وضربَت الأرضَ بقدَمِها. 'لماذا ينبغي أنْ يتحدَّثَ الجميعُ دائماً عَن الحُبّ؟'

'مَنْ تُحبّين؟ عليك أنْ تُخبريني باسمه،' قالتِ السَّاحِرة.

'لا أحبّ أحدًا،' أجابتها الأميرَةُ بافتخار.

'إنَّكِ تُخيّبينَ أمَلي،' قالتِ السَّاحِرة. ثم رفعَتْ يدَها ونطقَتْ بكلمَةٍ سِحْريَّة: 'فارثفيغاري'.

وسُرْعانَ ما تحوَّلتِ الأميرَةُ إلى خنْزيرٍ برّي.

'ماذا فعلْتِ بي؟' قالتِ الأميرَةُ بصرخةٍ تشْبهُ قُباعَ الخِنْزير.

'حدِّثيني الآنَ عَنِ العَواقِب، هيا!' قالتْ السَّاحِرة، وعادَتْ إلى عَدِّ قطَعها الذَّهبيَّة.

'ثلاثةُ آلافٍ، وستُّمائةٍ، وستٌّ وعشرون،' تابعت الساحرةُ،

«لأنّها أميرة لا تحبّ أحدًا،» أجابت بيليغرينا.
«ولا تُعنى بأحَدٍ بدافعِ الحُبّ، مع أن الكثيرين أحبّوها.»

فيما جَرَت الأَميرةُ الخنْزيرةُ وفَرَّت من الكوخِ، لتعودَ مَرَّةً أُخرَى إلى الغابة.

كانَ رجالُ الملكِ في الغابة أيضاً. وعمّن خَرجُوا يبحثون؟ عَنْ أميرَةٍ جَميلَة طبعًا. وهكذا، سارعوا إلى إطلاقِ سِهامِهم في الحالِ عندما شاهدوا خنْزيرًا برّيًّا بشعًا.. بووووا!»

«لا!» هَتفَت أبيلين.

«نعَمْ،» قالت بيليغرينا، أخَذَ الرِّجالُ الخنْزيرَ البَرِّيَّ وعادوا إلى القَلْعَة، وهُناكَ فَتَحَت الطّاهيةُ مَعدَتَهُ، وفيها وجدَت خاتَمًا منَ الذَّهبِ الخالص. كانَ هناكَ الكثيرُ منَ النّاسِ الجائعينَ في القلْعَة في تلْكَ الليلَة، يَنتظرون إطعامَهُمْ جَميعاً. وهكذا، وضعَتْ الطّاهيةُ الخاتَمَ في إصبَعِها وأتَمَّتْ تقطيعَ لَحم الخنْزيرِ البرّيّ. ولَمَعَ الخاتَمُ الذي سبقَ للأميرةِ الجميلةِ أن ابتلَعتْهُ في يَدِ الطّاهيَةِ وهي تقومُ بعَمَلِها.... النهاية.»

«النّهايَة؟» هتفت أبيلينُ ساخطَةً.

«نعَمْ.. النّهايَة،» أجابت بيليغرينا.

«غَيرُ مُمكن!»

«لماذا غَيرُ مُمكن؟»

«لأنَّ النِّهايةَ جاءَتْ سَريعَةً. لأنَّ أحداً لا يَعيشُ بِسعادَةٍ إلى الأبَدِ بعدَ نِهاية كهذه. هذا هوَ السّبب.»

أطرَقَتْ بيليغرينا وقالَتْ: «آه، وهكذا....»

بقيَتْ هادئةً لوهْلَة، ثم أردفت: «أجيبيني عَنِ السُّؤالِ التالي: كيفَ يُمكنُ لأيِّ نِهايَةٍ أنْ تُكلّلَ بالسعادةِ مع غِيابِ الحبّ؟ ولكِنْ. حَسَناً. لقدْ تأخّرَ الوقتُ ويَجبُ أنْ تنامي الآن.»

أخذَتْ بيلغيرينا إدوارد مِنْ أبيلين، ووضعَتْهُ في سَريرِه وغطّته حتى شاربَيه. ثُمَّ انحنَتْ مُقتَرِبَةً مِنْهُ وهمَسَتْ: «إنَّكَ تُخَيِّبُ أمَلي.»

بعدَ أنْ غادَرت العَجوزُ، استلقى إدوارْد في سريرِه الصَّغير وحَدَّقَ في السَّقْف، وفكّر: لا مغزى من هذه القصّة. ولكنَّ مُعظَمَ القِصَصِ كَذلك. فكّرَ في الأميرَة، وكيفَ أصبحَتْ خنْزيراً برِّيًا. ياه! إن ذلك رهيبٌ وبشعٌ! إنَّه غريبٌ! يا لَهُ مِنْ مصيرٍ مُروِّع!

«إدوارد،» قالتْ أبيلين. «أنا أحبّك. لا يَهُمُّني كَمْ يَبلُغُ عُمْري، سأظَلُّ أُحبُّكَ دائماً.»

فكّرَ إدوارْد: نَعَمْ، نَعَمْ.

واستمرَّ في التَّحديقِ بالسَّقْف. كانَ مُستثارًا لسَبَبٍ لَمْ

يستَطعْ أنْ يُسمّيه. تمنّى لَوْ أنَّ بيلغرينا وضَعتْهُ على جَنْبِهِ ليتمكّنَ مِن النظرِ إلى النُّجوم.

عندَئذٍ تذكَّرَ وصْفَ بيلغرينا للأميرَةِ الجَميلَة التي تُشْرِقُ مِثلَ النَّجومِ في ليلَةٍ بلا قَمَر. لِسَببٍ ما، وجَدَ إدوارْد السّلوى في هذه الكَلمات وكرَّرَها لنَفْسه – مُشرقَةٌ مثلَ النُّجوم في ليلة بلا قَمَرَ، مُشرقَةٌ مثلَ النُّجوم في لَيلَة بلا قَمَر- وظلَّ يُردِّدُها المرَّةَ تلوَ المرَّةِ حتى ظهَرَ أخيراً أوَّلُ خيطٍ من خيوطِ الفَجْر.

الفصل الخامس

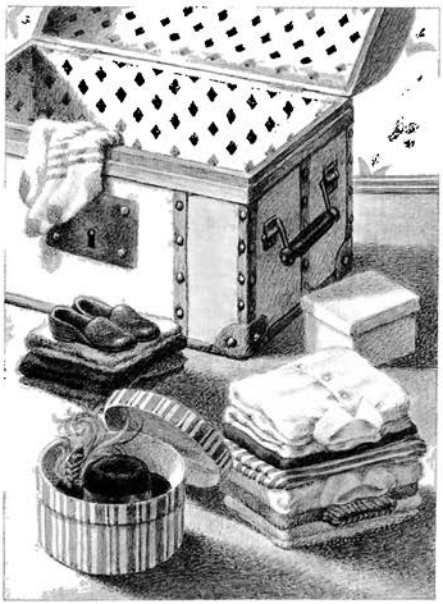

ضجّ البيتُ في شارعِ مصر بالنّشاطِ بَينَما انْهمَكتْ عائلةُ أبيلين تُحَضِّرُ لرحلَتِها إلى إنجلترا. وأعدّتْ أبيلين لإدوارد صُندوقًا صغيرًا، وضَعتْ فيه أجملَ البدْلاتِ والعديدَ من أَفْضلِ القُبَّعات، وثلاثةَ أزواجٍ من الأحذيةِ، وأضافت أيضًا كُلَّ ما يلزمُ حتى يَظْهرَ إدوارد بمظْهرٍ جميلٍ في لندن. ولم تضعْ أيَّ قطعةٍ في الصندوق قبل أن تُريَه إيّاها.

سألَتْهُ: «أتُحبُّ هذا القَميصَ معَ هذهِ البدْلَة؟» أو: «هلْ تُحبُّ أنْ تعْتمِرَ قُبَّعَتَكَ السّوداءَ المُقبَّبة؟ إنَّكَ تبدو أنيقًا جدًا بِها. هلْ نَضَعُها في الصُّندوق؟»

وأخيراً، وفي صَباحِ يَومِ أحَدٍ جَميلٍ في شَهرِ أيّارَ، كانَ إدوارْد وأبيلين والسّيِّدُ والسّيِّدَةُ تولين جميعًا على ظهْرِ السَّفينَةِ،

واقفينَ عند الحاجز. أما بيليغرينا فَوَقَفَتْ على رَصيف الميناء، وقد اعتمرت قُبّعةً خفّاقَةً مُزيَّنَةَ الحوافِّ بالزُّهور، وانْبَرَت تحدّقُ مُباشَرَةً إلى إدوارْد وعيناها السَّوداوان تلْمَعان.

«وداعاً.. هتفَتْ أبيلين لجدَّتها، أنا أُحبّك.»

أبْحرَتِ السَّفينَةُ مُبتَعدَةً عَنْ رَصيفِ الميناءِ. ولوَّحَتْ بيليغرينا لأبيلين.

«وَداعًا يا سيِّدتي،» هتفت. «وداعًا.»

شعَرَ إدوارد بشَيءٍ رَطْبٍ في أُذُنَيْه. وافْترَضَ أَنَّ مَصْدرَه هُو دُموعُ أبيلين. تمَنّى لَوْ أَنَّها لا تَضُمُّهُ بمثْلِ هذه الشِّدَّة، لأنَّ حَمْلَهُ على ذلك النحوِ يجعلُ ملابسَه تتجَعَّد. وأخيراً، اخْتفى كلُّ النَّاسِ على اليَابسَة عن الأنْظار، بمَنْ فيهِمْ بيليغرينا. وشَعرَ إدوارد بالارتياح وهُوَ يَرى آخرَ جُزْءٍ منْها يَخْتفي.

كما كانَ مُتوقَّعًا، اجتذَبَ إدوارْد تولين الكَثيرَ من الانتباهِ على سَطْح السَّفينَة.

قالتْ سيِّدَةٌ مُسنَّةٌ تَرتدي عقْداً مِنْ ثلاثَة خُيُوط منَ اللُّؤلؤِ حَوْلَ عُنُقِها: «يا لَهُ مِنْ أرنَبٍ فَريد،» وانحنَتْ لتتأمَّل إدوارد عن كَثَب.

«شُكرًا لَك،» قالتْ أبيلين.

رَمَقَت عدَّةُ فَتيات على سطْحِ السفينة إدوارد بنَظرات ملؤُها التَّوق. وسألْنَ أبيلين عمَّا إذا كَانَ يمكنُهنَّ أنْ يَحملْنَهُ.

«لا،» قالتْ أبيلين. «أخشى أنّهُ ليسَ ذلِكَ النّوعَ مِنَ الأرانبِ التي تُحبُّ أنْ يحملَها الغُرَباء.»

حَظي إدوارد باهتمامٍ خاصٍّ مِن صبيَّيْن صغيريْن شقيقيْن يُدعيان مارتِنْ وأمُوس.

سألَ مارتن أبيلين في اليوم الثاني وهُمْ في البَحْر: «ماذا يَستطيعُ أنْ يَفْعَل؟» وأشار إلى إدوارد الجالسِ في مقْعَدٍ على مَتْنِ السّفينَةِ وقدْ امتدَّتْ ساقاهُ الطويلتانِ أمامَهُ.

«إنَّهُ لا يَفعَلُ شَيئاً،» أجابَت أبيلين.

«هلْ يُمْكن تعبئَتُهُ مِنْ مَكانٍ ما؟» سَألَ أموس.

«لا، لا يُمْكن،» ردّت أبيلين.

«ما النَّفْعُ منْهُ إذَنْ؟» سألها مارتن.

«النَّفعُ منْهُ هُوَ أَنَّهُ إدوارْد» أجابتْ أبيلين.

«لا يَبْدُو ذلكَ مُهِمَّاً كَثيراً،» قال أموس.

«ليسَ كثيراً،» وافقه مارتن. ثمَّ، وبعْدَ إطْراقَةٍ طَويلَةٍ

مُتفكِّرَة، قال: «ما كنْتُ لأسْمَحَ لأحَدٍ أبدًا أن يُلبِسَني على هذا النَّحْو!»

«ولا أنا أيضاً،» قال أموس.

«هَلْ يُمكنُ خَلْعُ مَلابسه؟» سأل مارتن.

«طَبعًا يُمكنُ،» ردَّتْ أبيلين. «لَدَيه ملابسُ كثيرة، ولَدَيه أيضًا بيجامات كثيرةٌ. كلُّها مَصنُوعَةٌ مِنَ الحَرير.»

كالعادة، لم يعْبأ إدوارد بالحوار.

راحَ تيّارٌ من الهَواء المُنعش يَهُبُّ منَ البَحْر، وجعل الوِشاحَ الذي يلتَفُّ حَوْلَ عُنُقه يُرَفْرِفُ طائرًا خَلْفَه، أما رأسُهُ فعَلَته قبّعةُ بحّارٍ مَصنُوعَةٍ مِنَ القَشّ. ولم يُشغِل الأرنبُ بالَهُ إلا بالتَّفكيرِ في أنَّ عليه أن يبدوَ بالغَ الأناقَة.

كانَتْ مُفاجَأةً كاملَةً لَهُ عندَما انتُزِعَ من مقْعَدِه على سَطْحِ السَّفينَة، ثم نُزِعَ وِشاحُهُ الحريريُّ وسِروالُهُ عَنْ جَسَده. رأى إدوارد ساعَةَ جَيْبِه وهيَ تَرتَطِمُ بِسَطْحِ السّفينَةِ وتتدَحْرَجُ بِجَذَلٍ باتِّجاه قدَمَيْ أبيلين.

«أنظرْ إليه!» قالَ مارتن. «إنَّه يَرتدي سِروالاً داخلياً أيضاً،» ورفَعَ إدوارْد عَاليًا حتّى يتمكَّنَ أموس مِنْ رؤْيَتِه.

«اخلعْ سِروالَهُ الدّاخليّ،» صاح أموس.

«لا!!!!!» صرَخَتْ أبيلين.

نَزَع مارتن سِروالَ إدوارْد الدّاخلي.

أصبحَ إدوارْد الآن مُتَيَقِّظاً تَمامًا. أحسَّ بالمَهانة وشَعَرَ بالخَجَل. صار عاريًا تمامًا إلا مِنَ القُبَّعة على رأْسه، وانْبرى المسافِرُون الآخرون يَتفرَّجون عليه، مُوجِّهينَ إليه نظَراتٍ فُضوليَّةٍ ومُحْرِجَة.

«أعْطِني إيّاه، إنَّهُ أرْنَبي!» صرَخَتْ فيه أبيلين.

«لا، أعطه لي أنا،» قالَ أموس لمارتن. وصفَقَ يدَيْه مَعاً ثم فَتَحَ ذراعيْه وأَرْدَف، «ارْمه!» «لا تَفعل، رجاءً!» صاحت أبيلين. «إنهُ مَصنُوعٌ مِنَ الخَزَف الصّيني. سَيَنكسر.»

ألقى مارتن بإدوارد.

وحلَّق إدوارْد عَارياً في الهَواء. قَبْلَ لحَظَة فقَط، فكَّرَ الأرْنَبُ في أنَّ تجرّدَ المرءِ من ثيابه أمامَ حمولَة سَفينَة مِنَ الغُرَباء هو أسْوأُ شَيءٍ يُمكنُ أنْ يحدُثَ لَهُ. لكنَّهُ كانَ مُخْطِئًا. فالأسْوأ مِن ذلكَ بكَثيرٍ أنْ يُلْقَى بِالمَرْءِ عاريًا في الهواء، مِنْ يَدِ ولَد وَضيعٍ ضاحِكٍ إلى يَدٍ آخَر.

التَقَطَ أموس إدوارد ورفَعَهُ عالياً، وهوَ يَعْرِضُهُ بروحِ انتِصار.

«ارْمِ بِهِ إليّ!» هتَفَ مارتن.

رفَعَ أموس ذراعَهُ، ولكنْ وفيما هو يهمُّ برمْي إدوارْد، انقضَّتْ أبيلين عليْهِ، دافِعَةً برأسِها إلى مَعِدَتِهِ، مُفسِدةً على الصبيّ مَقصَده.

وإذ شاءت الظروفُ ألا يطيرَ إدوارْد إلى يدَيْ مارتن القذِرَتين، طارَ بدلاً من ذلك في الهواءِ مُحَلِّقًا مِنْ على حافَّة المَرْكَبِ إلى البَحْر.

الفصل السادس

كيفَ لأرنب منَ الخَزَف الصّينيّ أنْ يَموت؟

هَلْ يُمْكنُ أن يغرقَ أَرْنَبٌ خَزَفيّ؟

هَلْ ما تَزالُ قُبَّعتي عَلى رأسي؟

هذه هيَ الأسئلةُ التي طرَحهَا إدوارد على نفْسه وهو يَطيرُ مُحَلّقًا فَوقَ البَحْرِ الأزْرَق. كانت الشّمسُ آنذاكَ تَشْرُقُ عاليةً في كَبِدِ السَّماء، وممّا بدا أنَّها مَسافَةٌ طويلة مُغرِقَةٌ في البُعْدِ، سَمِعَ إدوارد صوتَ أبيلين تُنادي باسْمِه.

«إدوااااارْد،» صرخَتْ أبيلين. «عُدْ إلى هُنا!»

يعود؟ ألا يَبدُو هذا النِّداءُ أسْخفَ ما يمكن أنْ يَهتفَ به المرءُ على الإطلاق! فكَّر إدوارد.

وبَيْنَما هو يتقلَّبُ في الهَواءِ رأساً على عَقِبٍ، وذيلُه يُلامسُ

أطرافَ أُذُنيه، استطاعَ أنْ يلْمَحَ أبيلينَ مرّةً أخيرَةً. رآها واقِفَةً على سطْحِ السّفينة، مُمْسكَةً بالحاجزِ بإحْدى يَدَيها، وفي يدِها الأُخْرى مِصْباحٌ – لا، كُرةٌ منَ النّار؛ لا.. إنّها..

في تلك اللحظة أدرَكَ إدوارد أَنَّ ساعَةَ جيبه الذّهبيّة هي ما تحمله أبيلين بيَدها، ولأنّها رفعتها عالياً، انعكس عليها ضَوءُ الشّمْس.

فَكّر إدوارد: ساعةُ جَيْبي، إنّني في حاجَة إليها.

عندئذ، اختفتْ أبيلينُ منَ المَشْهَد بينما الأرنَبُ يرتَطِمُ بالماءِ بقُوّةً هائلَة جعلت قُبّعَتَهُ تطيرُ عَنْ رأسه.

هذا يجيبُ على السُّؤال، فكّر إدوارد وهُوَ يُشاهِدُ القُبّعَةَ تبتَعِدُ مُتراقِصَةً في الهَواء.

وما لبثَ أَنْ بدأ يغْرق.

غاصَ، وغاصَ، وغاصَ. وأبقى عينَيْه مَفتوحتَين طوال الوقْت. ليسَ لأنَّهُ شُجاعٌ، وإنما لأنهُ لَمْ يملك خيارًا آخر.. راقَبَتْ عيناهُ الماءَ الأزْرَقَ وهُوَ يُصْبِحُ أخضَرَ، ثمَّ يتحوّلُ إلى أزرقَ مرّةً أخرى. وظلّتْ عيناه ترَيانِ حتى أصبَحَ كُلُّ شَيءٍ في النهايةِ أسْوَدَ مِثلَ سَوادِ اللّيل.

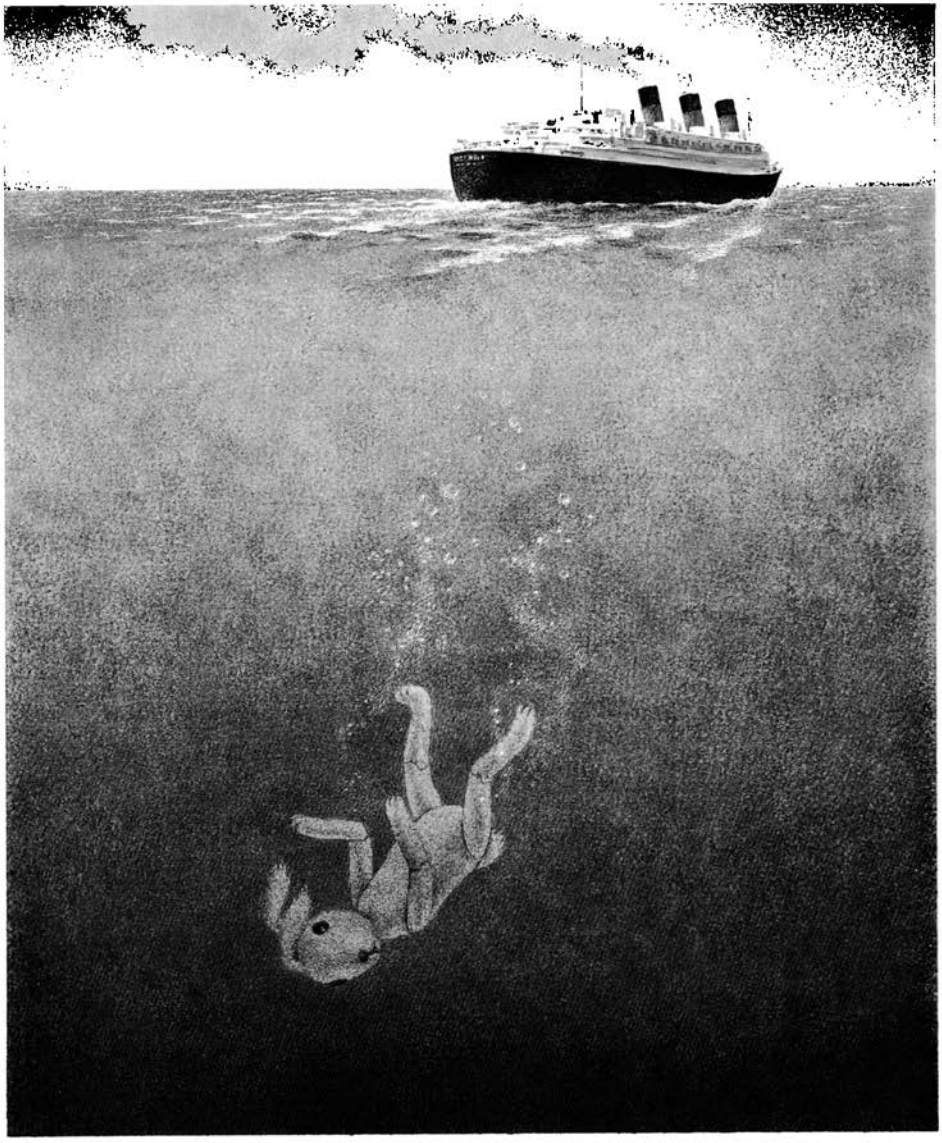

غاصَ، وغاصَ، وغاصَ.

ذهَبَ إدوارد أعمَقَ فأعمَق. وقالَ لنفْسِهِ: لو أنني بصددِ الغرقِ، لغرقْتُ الآن.

من بعيد، فَوْقَهُ، مرّت عابرَةُ المُحيط، وأبيلين على ظهْرها. وأخيرًا، استقرَّ الأرنَبُ الخَزَفيُّ في قاعِ المُحيط ووجْهُهُ إلى الأسْفَل.. وهناك، ورأسُه غارِقٌ في الوَحْل، اختبَرَ أوَّلَ شُعورٍ أصيلٍ وحَقيقيّ.

كان إدوارد تولين خائفًا.

الفصل السابع

قالَ لنفْسه إنَّ أبيلين ستأتي بكُلِّ تأكيد وتَعْثُرُ عَليه. فكَّر إدوَارد: هذا يُشْبِهُ إلى حَدٍّ بَعيد انتظارَ عَودَةَ أبيلينَ مِنَ المَدْرَسَةِ إلى البَيْتِ. سَأتظاهَرُ بأَنَّني في غُرْفَةِ الطَّعامِ في مَنْزِلِ شارِعِ مصْرَ، مُنتَظِرًا أنْ يُشيرَ العقْرَبُ الصَّغيرُ إلى الثّالثَة، وأنْ يَحُطَّ العقْرَبُ الكبيرُ على الثّانيَة عشْرَةَ. لو أنَّ سَاعَتي مَعي فَقَطْ، لعرفْتُ حتمًا. لكِنَّ ذلِكَ غَيْرُ مُهِمٍّ، ستأتي إلى هُنا قَريباً، قَريباً جدّاً.

مَرَّت السَّاعاتُ، ثُمَّ الأيّامُ، والأَسابيعُ والشُّهورُ.

وَلَمْ تَأتِ أبيلين.

ولأنَّ إدوارد لَمْ يَجدْ شَيئاً أفضَلَ ليفْعَلَهُ، قَضَى وَقتَه في التَّفكيرِ. فَكَّرَ في النُّجومِ. تَذَكَّرَ كيفَ كانتْ تَبْدُو مِنْ نافِذَةِ غُرْفَةِ النَّومِ.

تساءَلَ: ما الَّذي يَجعَلُها تَلْمَعُ بكُلِّ هذَا الإشْراق، وَتظَلُّ تَلْمَعُ في كُلِّ مَكان، حتّى عندما يَتَعذَّرُ عليه أَنْ يَراهَا؟ وَفكَّرَ: لَمْ أَكُنْ مطلقًا طِوالَ حَياتي أكثَرَ بُعْداً عَنِ النُّجُومِ مِمَّا أنَا عليه الآنَ.

فكَّرَ أيْضاً في مَصيرِ الأَميرَةِ الجَميلَةِ الّتي أصْبَحَتْ خنْزيرًا بَرِّيًا. لماذا أصْبَحَتْ خنْزيرًا بَرِّيًا؟ لأَنَّ السَّاحِرَةَ القَبيحَةَ حَوَّلتْها إلى خنْزيرٍ، ذاك هُوَ السَّبَبُ.

ثُمَّ فَكَّرَ الأرْنَبُ في بيليغرينا. شَعَرَ على نحو ما بأَنَّهُ لا يَستَطيعُ أَنْ يُفَسِّرَ لنَفْسه إحساسَه بأَنَّها المَسؤولَةُ عَمَّا حَدَثَ لَهُ، بَدا الأمْرُ كما لَوْ أَنَّها هي، ولَيْسَ الأَوْلادُ، من ألقى إدوارد مِنْ فوْقِ سَطْح السَّفينَة.

رأى أنها مِثْلُ السَّاحِرَةِ في القصَّة. لا، بَلْ هِيَ السَّاحِرَةُ نفسُها التي في القصَّة.. صَحيحٌ أنَّها لَمْ تُحَوِّلْهُ إلى خنْزيرٍ بَرِّيٍّ، لَكنَّها عاقَبَتْهُ بالطَّريقَةِ نفسِها، ولَوْ أنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ عَلَى مَاذا.

في اليَومِ السَّابعِ والتِّسْعينَ بَعْدَ المائة مُنْذُ بدْءِ محْنَة إدوارد، هَبَّتْ عاصِفَةٌ. كانتْ عاصِفَةً قَويَّةً جِدّاً، حتّى أنَّها

انتشلت إدوارد مِنْ قَاعِ المُحيطِ، وأدْخَلَتْهُ في حَوْمَةِ رقْصٍ دوَرانيٍّ مَجْنونٍ وَمَحْمُوم. سحبه الماءُ ودفعَه، رفَعه إلى الأعْلى ثُمَّ عادَ وقذفَه إلى الأسْفَلِ.

telegram @ yasmeenbook
مكتبة ياسمين

فَكَّرَ إدوارْد: النَّجْدَة!!.

دفَعَتْه العاصفةُ العاتيةُ بشراسةٍ، وقطعت به فعليًا المسافةَ كُلَّها من قاعِ البحرِ إلى سطحه. وللحْظَة، أُتيحَ للأَرْنَب أنْ يَلمحَ بصيصَ سَماءٍ غاضِبَةٍ مُكْفَهِرَّة. اندَفَعَتِ الرِّياحُ عَبْرَ أُذُنَيْه، وبَدَا لَهُ كَمَا لَوْ أنَّ بليغيرينا تَضْحَكُ. لكن، وَقبْلَ أنْ يتَسنّى لَهُ الوَقْتُ لِيَشْعُرَ بالامْتنانِ لوجُودِه فَوْقَ المَاءِ، سُرْعان ما تَقاذَفَه المَوْجُ عَائداً به إلى الأعْمَاقِ. تقاذفهُ مِنْ الأعلى ومِنْ الأسْفَل، ومِنْ الأمَام وَالخَلْف، وهكذا حتّى استَهْلَكَتِ العاصِفَةُ نفْسَها، ورَأى إدوارْد أنَّهُ قدْ بدَأَ، مَرَّةً أخْرَى، هُبُوطَهُ البَطيءَ إلى قَاعِ المُحيطِ.

فَكَّرَ: أوْه، سَاعِدوني، لا أسْتَطيعُ أنْ أعُودَ إلى هُنَاكَ، أنْجِدُوني.

لَكِنَّهُ مَضَى هَابِطاً مَعَ ذَلِكَ، غارِقاً في اللُّجَّةِ أعْمَقَ فَأعْمَقَ.

ثُمَّ، وعَلَى حِيْنِ غِرَّة، امتَدَّتْ شَبَكَةُ صيَّاد عَظيمَة عَريضَة والْتَقَطَت الأرْنَبَ. ورَفعَتْهُ الشَّبكَةُ أعْلَى فَأعْلَى حتّى حَصَلَ ما يُشْبِهُ تفجُّر ضوءٍ لا يُمْكِنُ احتمالُهُ، وعَادَ إدْوارْد إلى العَالَم، مُسْتَلْقِياً عَلى ظَهْرِ الزَّورق، مُحَاطاً بالسَّمَك.

«إيْه، مَا هَذَا؟» قالَ صَوْتٌ.

«إنهُ ليْسَ سَمَكَةً،» قالَ صَوْتٌ آخَرُ. «هَذَا أكيْدٌ.»

كانَ الضَّوْءُ أشدّ سطوعًا من أنْ يتمكّن إدوارْد من رؤية أيِّ شيءٍ. لَكنَّها ظَهَرَتْ، أخيراً، أشْكالٌ خَارجَةٌ مِنَ الضَّوْءِ، ثُمَّ وُجُوهٌ، وأدْرَكَ إدوارْدُ أنَّهُ ينظُر إلى رَجُلَيْنِ، أحَدُهُمَا فَتِيٌّ والآخَرُ مُسِنٌّ.

«إنهُ يبْدُو مِثْلَ دُمْيَة ما،» قالَ الرَّجُلُ العَجُوزُ الأسمر. ثُمَّ انحنَى وَرَفَعَ إدوارْد عالياً وحَمَلَهُ بأطْراف أصابعه مُتأمِّلاً فيه: «أرْنَبٌ، كَمَا يبدو لي، وَلَهُ شَارِبَانِ، وَأذُنا أرْنَبٍ، أوْ شَكْلُ أذُنَيْ أرْنَبٍ عَلَى الأقَلِّ.»

«نَعَمْ، طَبْعاً، دُمْيَةٌ علَى شَكْلِ أرْنَبٍ،» قَالَ الشَابُّ واستَدَارَ مُبْتَعِدًا.

«سَآخُذُهُ إلىَ البَيْت، لنيللي،» قالَ العَجُوزُ. «سَأجْعَلُهَا تُصْلِحُ مِنْ شَأنِه وَتُعيدُهُ إلى وَضْعِه وتُعْطيه لِطِفْلٍ ما.»

وضَعَ الرَّجُلُ العَجُوزُ إدوارْدَ بِعِنايَةٍ في قَفَصٍ يُشبه الصُّندوق، فاستقرَّ هناك في وضْعيَّةِ جُلوسٍ أتاحت له النظرَ إلى البحرِ أمامَه. قدَّر إدوارد للعجوز كياسَةَ هَذِه الإيمَاءَة الصَّغيرَة، لكنَّهُ ضاق ذَرْعاً بالمُحيط في أعْمَاق قَلْبِه، وكانَ يُرْضِيه أنْ لا يقعَ نظرُه عَلَيْه مَرَّةً أُخْرَى.

«هَا أنْتَ ذَا،» قالَ الرَّجُلُ العَجُوزُ.

وفيما هم يشقّون طَريقَهُمْ عَائدِيْنَ إلى الشَّاطئ، أحَسَّ إدوارْد بلَسْعَة الشَّمْسِ عَلَى وَجْهه، وَبالرِّيح وهِيَ تَهُبُّ مُتَخلِّلَةً القَدْرَ الضَّئيلَ منَ الفِراء الذي تبَقَّى عَلَى أُذُنَيْه، ومَلأَ شَيْءٌ ما صَدْرَهُ، كانَ شُعُوراً رائعاً.

إنَّهُ مَسْرورٌ لأنَّهُ حَيٌّ.

«انْظُرْ إلى الأرْنَب،» قالَ الرَجُلُ العَجُوزُ. «إنَّ هذا الشَّيْءَ يَبْدُو كأنه يَسْتَمْتِعُ بالرِحْلَة، أليْسَ كذَلِكَ؟»

«آه، نَعَمْ،» أجابَ الفَتى.

في الحَقيقَة، سَعدَ إدوارْد تولين جدّاً بالعَوْدَة إلى عالم الأحياء، حتّى إنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بأيِّ امتعاضٍ لَدَى الإشَارَة إلَيْهِ بضَميرِ الغائِبِ، غَيْرِ العَاقِلْ: «الشَّيء».

الفصل الثامن

عَلَى اليابسَة، تَوَقَّفَ الصَيَّادُ العَجُوزُ لِيُشْعلَ غلْيُونَهُ، ثُمَّ، وَبعْدَ أنْ أطبقَ بأسنانه على مَبْسَم الغليون، خَطا عَائداً إلى المَنْزل، حَاملاً إدوارْد عَلَى كَتفه الأيْسَر كأنّه بطلٌ مُنتَصر. وفيما حَمَلَهُ الصَيَّادُ، وَاضعاً يَداً خَشنَةً جَاسئَةً عَلَى ظَهْر إدواردَ، انبرى يتحدَّثَ إليْه بِصَوْتٍ خَافتٍ وهَادئ وهما يمضيان قدمًا.

«ستُحبُّكَ نيللي، نعم ستفعل،» قالَ الرَّجُلُ العَجُوزُ، «إنَّ لهَا حُزْنُهَا، لَكنَّها فَتاةٌ طَيِّبَةٌ.»

تأمَّلَ إدوارْدُ البَلْدَة الصَّغيرَة المُلْتَفَّة بردَاء الغَسَق؛ وذلك الخليط مِنَ المباني المُتَلاصقَةُ وَالمُنْضَفرَةُ مَعاً. وَالمُحيطُ يَمْتَدُّ أمَامَها كُلَّها، وبدا له أنّهُ سَيُحِبُّ أيَّ شَيْءٍ وأيَّ شَخْصٍ طالَما أنّهُ ليسَ

في قَاعِ البَحْرِ.

«مَرْحَباً يا لُورَنس،» هتَفَتِ أمْرَأةٌ مِنْ أمَامِ أحَدِ الحَوانيتِ.

«مَاذا لَدَيْكَ؟»

«صَيْدٌ طازَجٌ، أرْنَبٌ طازَجٌ مِنَ البَحْرِ،» ورَفَعَ قُبَّعَتَهُ تَحيَّةً لِلسَّيدَةِ وتابَعَ المَسيرَ.

«هَا أنْتَ ذا الآن،» قالَ الصيّادُ، ثُمَّ أخْرَجَ الغَليونَ مِنْ فَمِهِ وَأشارَ بقَصَبَتِه إلى نَجْمَةٍ في السَّمَاءِ تصطبغ باللون الأرجواني: «تلْكَ هِيَ نَجْمَةُ الشَّمالِ خاصَّتُكَ هُناكَ، لا ينبغي لكَ أن تضيعَ مطلقًا عندما تَعْرِف مَوْضعَ تلْكَ الرَّفيقَةُ.»

تأمَّلَ إدوارْد بَريقَ النَّجْمَةِ الصَّغيرَةِ اللألاءَةِ، وتَسَاءَلَ: «هلْ لِهَذه النُّجوم جَميعاً أسْماءٌ؟»

قالَ الصيَّادُ مُتحَدِّثاً إلى الدُّمْيَةِ: «استمعْ إليّ. آه، حسناً، ها نحنُ ذا إذَنْ.» سارَ الصيَّادُ عَلَى مَمَرٍّ مَرْصُوفٍ بالحِجَارَةِ ثُمَّ دلَفَ إلى بَيْتٍ صَغيرٍ أخْضَر اللوْن.

«أنظري هُنا يا نيللي،» قال العَجوزُ. «لقد أحضَرْتُ لَكِ شَيئاً مِنَ البَحْرِ.»

وَجاءَ صَوْتٌ: «لا أريدُ شَيئاً مِنَ البَحْرِ.»

«أو، لا، لا تكُوني هكَذَا يا نيللي. تعالَيْ وانْظُري».. وسُرْعانَ ما خَطَتِ امْرَأةٌ مُسِنَّةٌ خارِجَةً مِنَ المَطْبَخِ، وهِيَ تَمْسَحُ يَدَيْها بمِئْزَرٍ. وعِنْدَما رأتْ إدوارْدَ، أَسْقَطَتْ المِئْزَرَ وصفَّقَتْ بيَدَيْها وقالَتْ: «أوه، لورَنس، لَقَدْ أحْضَرْتَ لي أرْنَباً.»

«مُباشَرَةً مِنَ البَحْرِ،» قالَ لورَنس وأنْزَلَ إدوارْد عَنْ كَتفه وأوْقَفَهُ علَى الأرْضِ، ثُمَّ أسْنَدَهُ إلى كفَّيْهِ وَجَعَلَهُ يُقَدِّمُ انْحناءَةً كبيرة لنيللي.

«أوه، مَا هَذَا؟» قالتْ نيللي، وصفَّقَتْ بيَدَيْها مَرَّةً أخْرَى، وَمرَّرَ لورنس إدوارْدَ إليها.

حمَلَتْ نيللي الأرْنَبَ وتفحَّصَتْهُ منْ قمَّة رَأسه حتى أصَابِع قَدَمَيْه، وابتَسَمَتْ، ثم قالَتْ: «هَلْ سَبَقَ أَنْ رَأيْتَ في حَياتكَ شَيْئاً بمثْلِ هَذَا الجَمَالِ؟» شَعَرَ إدوارْد عَلَى الفَوْرِ بأنَّ نيللي امْرَأةٌ بَالِغَةُ الوُدِّ.

«إنَّها جَميلَةٌ!» قالَتْ نيللي وهِيَ تَزْفُرُ بعُمْق.

للحظة، أُصيب إدواردُ بالارْتباكِ، هَلْ هُناكَ مَوْضُوعٌ آخَرُ للجَمالِ في الغُرْفَة سواهُ؟

«مَاذا سَأسَمِّيهَا؟»

«سُوزانا؟» قالَ لورنس.

«حَسَنٌ جِدًّا، سُوزانا،» قالَتْ نيللي. ونظَرَتْ بِعُمْقٍ في عَيْنَيّ إدوارْد، «في البِدَايَةِ، ستَحْتاجُ سُوزانا إلى بَعْضِ المَلابِسِ، أليْسَ كَذَلِكَ؟»

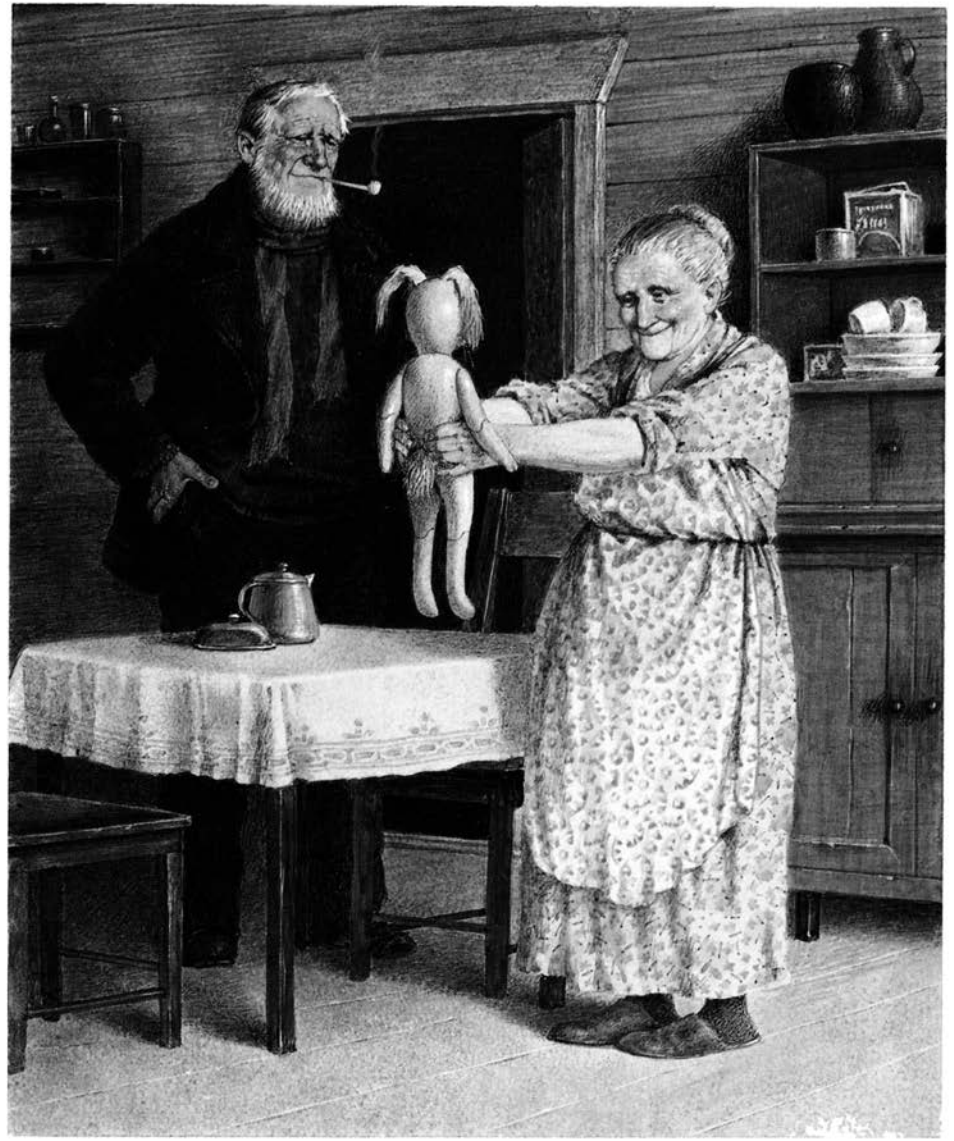

«إنَّها جَميلَةٌ!» قالَتْ نيللي وهِيَ تَزْفُرُ بعُمْقٍ.

الفصل التاسع

هكَذَا، تَحَوَّلَ إدوارد تولين إلى سُوزانا، وَحَاكَتْ لَهُ نيللي عدَّةَ أرْدِيَة: فُسْتاناً زهْرِيًّا مَعَ كَشاكِشَ مِنْ أجْلِ المُناسَباتِ الخاصَّة، وقَميصًا بَسيطًا مَحيكًا مِنْ قُماشٍ مُوَرَّدٍ مِنْ أجْلِ الاستِخْدامِ اليَوميِّ، ورِداءاً أبيضَ طَويلاً مِنَ القُطْنِ لينَامَ إدوارْدُ فيْه. إضافةً إلى ذلكَ، أعَادَتْ صُنْعَ أُذُنَيْه.. جَرَّدَتْهُما أوَّلاً مما تبقّى عَليهما من آثارِ الفِراء القديم، وصَنَعَتْ لَهُ زَوجًا جَديدًا.

«أوه، لكَمْ تَبْدينَ فاتِنَةً!» قالتْ لَهُ عَنْدَما انتَهَتْ.

أحَسَّ بالرُّعْبِ في بدايَةِ الأمْرِ، فهو أولاً وآخرًا ذَكَر! لَمْ يُرِدْ أنْ يُلبَسَ مِثْلَ فَتاة.. فحتّى فُسْتانُ المناسَباتِ الخاصّة، بسيطٌ جدًا، وقبيحٌ جدًا. وجميعُ ملابسه الجديدة تُعْوِزُها الأناقَةُ والبَراعَةُ الفَنِّيَّةُ التي تَمَيَّزَت بِها ملابسُه الحَقيقيّةُ. لَكنَّ إدوارْد عادَ وتَذكَّر

انبطاحه في قاع المحيط، والوَحْلُ يطمرُ وَجْهَهُ، والنُّجومَ القَصيَّةَ المُغرِقَةَ في البُعْدِ، وقالَ لنَفْسه: أيَّ فَرْقٍ يَصْنَعُهُ ذلكَ حَقّاً؟ إنَّ ارْتِدَاءَ فُسْتانٍ لَنْ يُؤلمَني بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ.

إلى جَانبِ ذلكَ، كانَت الحَياةُ في البيْتِ الأخْضَرِ الصَّغيرِ مَعَ الصيَّادِ وزَوْجَتِه تمضي حُلْوَةً. كانَت نيللي تُحبُّ الخَبْزَ، ولذلك درَجت على قضاء يَوْمِهَا في المَطْبَخِ، حيث تَضَعُ إدواردَ عَلَى المِنْضَدَةِ الطَّويلَة، وتُسْنِدُهُ مُنْتَصبًا عَلَى عُلْبَةِ الدَّقيقِ الصَّغيرَةِ، وتُرَتِّبُ فُسْتانَهُ حَوْلَ رُكْبَتَيْه. وَتُميلُ أُذُنَيْه ليسمعَ جيِّدًا.

ثُمَّ تَشْرُعُ في العَمَلِ، تَعْجنُ العَجينَ لإعداد الخُبْزِ، وتَفْرِدُه لتَصْنَعَ منْهُ البَسْكويتَ والفَطائرَ. وَسُرْعانَ ما تنْتشرُ في المطبخِ رائحةُ الخُبزِ المَخْبُوزِ، وروائحُ القرْفَةِ والسُكَّرِ وكَبْشِ القَرَنْفُلِ الحُلْوَةِ، ويغطّي البخارُ النَّوافذَ. وبينَمَا تَعْمَلُ، كانت نيللي تتَحَدَّثُ.

أخْبَرَتْ إدوارْدَ عَنْ أبنائها: ابنتها لُوي التي تعْمَلُ سكرتيرَةً، وأبنائها، رالْف، الذي كانَ في الجَيْشِ، ورايْموندَ الذي ماتَ بمَرَضِ ذاتِ الرِّئَةِ وهو في الخامسَةِ منْ عُمْرِه.

«غَرِقَ في أعماقِ نَفْسِه،» قالَتْ نيللي، «كانَ ذلكَ أمْراً

مُخيفاً وَمُريعَاً، إنَّ أسْوأ الأشْياءِ هُوَ أنْ تَرَى شَخْصَاً تُحبُّهُ وَهُوَ يَمُوت أمامَكَ من غَيرِ أنْ يُتاحَ لك فِعْلُ شَيْءٍ إزَاءَ ذَلِكَ. إنني أحْلُمُ بِهِ في مُعْظَمِ اللَّيالي.»

وَكانَتْ نَيللي تَمْسَحُ دُمُوعَها بِظاهِرِ يَدِها. وتَبْتَسِمُ لإدوارْد.

«لا رَيبَ في أنكِ تَظُنّينَني بَلهاء، أتَحَدَّثُ إلى دُمْيَةٍ، لكنْ يَبدُو لِي أنَّكِ تَسْتَمعينَ يا سُوزانا.»

وبدَورِه، أصابت إدوارْدُ الدَّهشةُ لدى اكتشافه أنَّهُ يستمعُ بالفعل. في السَّابِق، عنْدَما كانَتْ أبيلينُ تتَحَدَّثُ إلَيْه، بدَا له كُلُّ شَيْءٍ مُضجرًا، ومُفْتَقِرَاً تَماماً إلى المغزى. أمَّا الآنَ، فصارت القِصَصُ التي تَرويها نيللي تُدْهشُهُ، كأنَّها أكثَرُ الأشْياءِ أهَميَّةً في العَالَم، كانَ يَسْتَمعُ كَما لَوْ أنَّ حياتَهُ نفْسَها تَعْتَمدُ عَلَى ما تَقُولُهُ. وَقَدْ جَعَلَهُ ذلكَ يَتَساءَلُ عمّا إذا كانَ بعضُ الوَحْلِ مِنْ قاعِ المُحيطِ قَدْ دَخَلَ في رأسِهِ الخَزَفيِّ وألحَقَ بِهِ العَطَبَ بِشَكْلٍ ما.

في المَساءِ، كانَ لورنس يَعُودُ إلى البَيْتِ مِنَ البَحْرِ، ويجلسُ الجميعُ إلى المائدةِ لِتناولِ العشاء؛ الصّيّادُ وزوجتُه وأدوارد الذي

يعْتلي مقعدًا خشبيًا قديمًا وعاليًا. في البداية شعرَ بالمهانة لأنّ المقاعدَ العالية مخصَّصَةٌ للأطفال ولَيسَ للأرانبِ الوسيمة. بَيدَ أنَّهُ ما لبثَ أن ألفَه. بل راقَه أن يجلس عاليًا لينظرَ إلى الطاولة من فوق، بدَلاً مِنَ التَّحْديقِ في غطاءِ المائدَة كمَا اعتادَ أن يفْعَلَ في مَنْزِلِ عائلَة تولين، وأحَبَّ الشُّعُورَ بأنهُ جُزْءٌ مِنَ الأشْياء.

وفي كُلِّ لَيلَة بعْدَ العَشَاء، كانَ لورنس يقولُ إنهُ يَشْعُرُ برَغْبَة في الخُروجِ لتَنَسُّم بَعْضِ الهَواءِ النَّقيّ، وإنَّ سُوزانا ربَّما تَرْغَبُ في الخُروجِ مَعَهُ. ولا يلبثُ أن يضعَ إدوارْدَ علَى كَتفه كمَا فَعَلَ في تلْكَ الليلَةِ الأولى عِنْدَما سَارَ بِهِ عَبْرَ البَلْدَة، جالِبًا إيّاهُ إلى المنْزِلِ لنيللي.

وهَكذا يخرجان، وهناكَ يُشعِلُ لورنس غَلْيونَهُ وهو يحملُ إدواردَ عَلَى كَتفه. وإذا كانت الليلةُ صافيةً، يَنْبَري لورانس في ذكر أسماءِ أبْراجِ النُّجُوم، اسمًا اسمًا: أندروميدا، بيغاسوس، مُشيراً إليهَا بقَصَبَة غَلْيُونه. وقَدْ أحَبَّ إدواردُ التطلّعَ إلى النُّجُوم، وأحَبَّ أصْواتَ أسَماءِ الأبْراجِ التي جاءَ وقعها عذبًا على أُذنيْه.

معَ ذلكَ، وهو يُحَدِّقُ عاليًا إلى سَمَاءِ الليلْ، كانَ إدوارْد يتذَكَّرُ بيليغرينا أحْيانًا، ويَرَى عينَيْها الدَّاكِنَتَيْنِ اللاَّمعتيْن، فتسري

قُشْعَريرَةٌ في أوصاله.

ويُفَكّرُ: «خنَازيرُ بَرّيَةٌ، سَاحراتٌ.»

لكنَّ نيللي، وقَبْلَ أنْ تَضَعُهُ في السَّرير ليلاً، تُرَدّدُ على مسامعه ترنيمةً عن الطُّيورِ المُحاكيَة التي لا تُحسنُ الغناء، وعَنْ خَاتَم ماسيٍّ لا يلمعُ، فيُهدّئُ صَوْتُ نيللي من روعَ إدواردَ ويُنسيه أمْرَ بيلغيرينا.

وهكذا، مضَت الحَياةُ، لِوَقْتٍ طَويل، حُلْوَةً.

ثُمَّ، جاءَتْ ابْنَةُ لورنس ونيللي للزِّيارَةِ.

الفصل العاشر

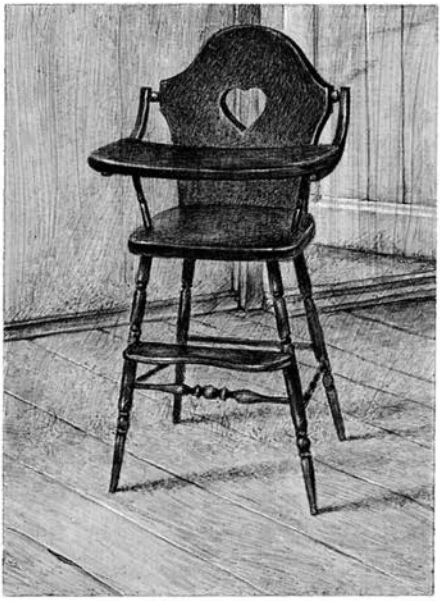

كانَتْ لولي امْرَأةً سَمينَةً خَرْقاءَ، تتَحَدَّثُ بِصَوتٍ عَالٍ وتَضَعُ الكَثيرَ مِنْ أحْمَرِ الشِّفاه. دَخَلَت المَنْزِلَ، وشاهَدَتْ على الفَور، إدواردَ جَالسًا علَى أَريكَةِ غُرْفَةِ الجُلُوس.

«مَا هَذا؟» قالت، ثُمَّ وضَعَتْ حَقيبَةَ ملابسها وأمْسَكَتْ بإدوارْد مِنْ إحْدى رِجلَيه وحَمَلَتْهُ مَقلوباً رأسَاً عَلَى عَقِبٍ.

«هذه سُوزانا،» قالَتْ نيللي.

«سُوزانا!» صَاحَت لولي، وهَزَّتْ إدوارد بعُنف.

ارتفَعَ فُسْتانُهُ إلى أعْلى رأسِه وَلَمْ يَعُدْ يَسْتطيعُ رؤيَةَ شَيْءٍ. وعَلَى الفَوْر، بدأَ يَشْعُرُ بالكَراهيَةِ العَميقَةِ والغامِرَةِ تجاهَ لُولي.

«والدُك وجَدَهَا،» قالتْ نيللي. «علقَتْ في الشبَكَةِ، وَلَمْ تكُنْ ترتدي ثيابًا، ولذلِكَ صَنَعْتُ لَها بعْضَ الفَساتين.»

«هَلْ جُننْتِ؟» صرَخَتْ لولي. «إنَّ الأرانبَ لا تَحتاجُ إلى مَلابس.»

«حَسَنًا،» قالَتْ نيللي بِصَوتٍ مرتجف، «تبدو هذِهِ أنّها تَحتاجُها.»

ألقَتْ لولي بإدوارد ثانيَةً علَى الأريكَة، فهَبَطَ ووجْهُهُ إلى الأسْفَلِ وذراعَاهُ عَلَى رأسه، وفُسْتانُهُ لا يزالُ يُغَطّي وَجْهَهُ، وبَقِيَ علَى هذِهِ الحالُ طوال فَتْرَةِ تناوُلِ العَشَاء.

«لماذا أخْرَجْتُمْ ذلكَ المقْعَدَ العَالي القَديم؟» صَرَخَتْ لولي.

«لا تُلْقِ بالاً إلَيْه،» قالَتْ نيللي. «أراد والدُك أن يُلصِقَ بِهِ قِطْعَةً مَفقُودَةً فَحَسْب، أليْسَ كَذلكَ يا لورنس؟»

«صَحيح،» قالَ لورنس من غَيرِ أنْ يَرفَعَ رأسَهُ عَنْ طَبَقِه.

بطَبيعَةِ الحال، لَمْ يَذْهَبْ إدوارد إلى الخارج بَعْدَ العَشَاء، ولم يَقِفَ تَحْتَ النُّجومِ ليأخُذَ نَفَسَ تبْغٍ مَعَ لورنس. ونيللي، وللمَرَّةِ الأولى مُنْذُ أن أصْبَحَ يَعيشُ مَعَهَا، لَمْ تُغَنّ لَهُ تَهويدَةً. وفي الحَقيقَة، أُهمِل إدوارد ونُسيَ أمرُه حتّى الصَّباحِ التَّالي، عنْدَما التَقَطَتْهُ لولي مَرَّةً أخْرَى وأنْزَلَتِ الفُستانَ عَنْ وجْهِهِ وَحدَّقَتْ في عَيْنَيه.

«إنَّكِ تَسْحرينَ العَجوزَيْنِ،» قالتْ لَهُ لولي. «أليْسَ كَذلِكَ؟».

«لَقَدْ سَمِعْتُ الأقاويل في البَلْدَةِ، كانا يُعامِلانِكِ كما لو أنَّكِ أَرْنَبَةٌ صَغيرَةٌ.»

حَدَّقَ إدوارد بدَورِهِ في لولي، كانَ أحمَرُ شِفاهِها فاقِعًا وبِلَونِ الدَّم، وشَعَرَ بتيَّارٍ بارِدٍ يَهُبُّ عَبْرَ الغُرْفَةِ.

هَلْ هُناكَ بابٌ مَفْتوحٌ في مَكانٍ ما؟

«حَسَناً، إنكِ لا تَسْتَطيعينَ خِداعي،» قالت وهي تهزّه. «سَنقُومُ بِرِحْلَةٍ مَعاً، أنا وأنتِ!»

مضت لولي إلى المَطْبَخِ وهِيَ تَحْمِلُ إدوارد مِنْ أُذُنَيْهِ، وألقَتْ بِهِ، ووَجْهُهُ إلى الأَسْفَلِ، في مُستَوْعَبِ القُمامَةِ. ثم صاحت قائلة:

«ماما سآخُذُ الشّاحِنَةَ-سأخْرُجُ لِقَضاءِ بَعْضِ الأعْمَالِ.»

وجاءَ صَوتُ نيللي المُرْتَعِش: «آوه، رائعٌ يا عَزيزَتي، وَداعًا مَعَ السَّلامَةِ إذَنْ.»

«وَدَاعًا،» هَتَفَتْ نيللي مَرَّةً أخْرَى، بِصَوْتٍ أَعْلَى هَذِهِ المَرَّة، وشَعَرَ إدوارْد بألَمٍ حادٍّ يَمُورُ عَميقاً في صَدْرِهِ الخَزَفِيّ.

للمَرَّةِ الأُولى. سَمِعَ صَوْتَ قَلْبِهِ يُناجِيهِ وَيتَحَدَّثُ إلَيْهِ.
قالَ كَلِمَتَيْن: نيللي، لورنس.

الفصل الحادي عشر

انتَهى المطافُ بإدوارْد في مَكَبِّ النِّفَايات، حيثُ وَجَدَ نفسَه مستلقيًا فَوْقَ قِشْرِ البُرْتُقالِ، وحُثالَةِ القَهْوَةِ، وَلَحْمِ الخِنْزيرِ الفَاسِد، والإطاراتِ المطّاطيَّة. في اللَّيْلَةِ الأوْلى، كانَ عَلَى قِمَّةِ كَوْمَةِ القُمامَة. وهَكَذا، استطاع أنْ يَنْظُرَ عاليًا إلى النُّجُومِ ويَجِدَ السَّلْوى في ضَوْئِهَا.

في الصَّباح، أتى رَجُلٌ قَصيرٌ وتسلَّقَ كَوْمَةَ القُمَامَة، ولما بلغ قِمَّتَها وقفَ ووضَعَ يَديه تحتَ إبْطَيْه وخَفَقَ بمرفَقَيْه.

صاحَ مُتَبجِّحاً بصَوْتٍ عَالٍ ثم هَتَف: «مَنْ أنا؟ أنا إيرنيسْت، إيرنيسْت الذي هُو مَلِكُ العالَم. كيْفَ يُمكنُ أنْ أكُونَ مَلِكَ العالَم؟ لأنَّني مَلِكُ القُمَامَة، والقُمامَةُ هِيَ الشَّيءُ الذي صُنِعَ منْهُ العالَمُ. ها..ها..ها! ولذلكَ، أنا إيرنيسْت، إيرنست الذي هُوَ مَلِكُ العالَم.» صاحَ الرَّجُلُ مُتَبجِّحًا بصَوْتٍ غُرابِيٍّ مَرَّةً أخْرَى.

كانَ إدوارد مَيالاً إلى المُوافقَة علَى تَقْييم إيرنيسْت للعالَم، علَى أنَّهُ مَصْنوعٌ مِنَ القُمامَة، خاصَّةً بَعْدَ يَومه الثاني في القُمَامَة، وبالتَّحديد بَعد أنْ أُلقيَ حمْلٌ مِنَ القُمَامَة فَوقَه مُباشَرَةً. واستَلْقَى هُناكَ، مَدْفونًا وهُوَ حَيّ. لَمْ يَسْتَطعْ أنْ يَرَى السَّماءَ.. ولم يَستطِعْ أنْ يَرَى النُّجُوم. ولم يَستطِعْ أنْ يَرَى أيّ شَيْء.

أمَّا ما أبقاه حيًا ومنحَه الأمَلَ، فَكانَ التَّفكيرُ في طَريقة للعثورِ على لولي والانْتقامِ منها. سيلتَقطُها مِنْ أُذُنَيْها، وَسيَدْفنُها تَحْتَ جَبَلٍ مِنَ القُمَامَة!

ولكِنْ، وبعْدَ مُرورِ أربَعينَ يَومًا ولَيلَة، جَعلَ ثقلُ القُمامَة ورائحتُها من فَوقهُ ومِنْ تَحْته ذهْنَهُ يَتشَوَّش. وما لبث أنْ تَخلّى عَنْ فكرة الانْتقام واستَسْلَمَ لليأس. كانَ الأمرُ أسْوأ، بَلْ أسْوأ بكَثيرٍ منْ أنْ يُدفنَ في قاعِ البَحْر. أسوأ لأنَّ إدوارد أصْبَحَ الآنَ أرْنبًا مُخْتلفاً.. لَمْ يَعْرفُ كيْفَ أصبَحَ مُختَلفًا؛ لكنَّهُ عرَفَ أنَّهُ أصْبَحَ كذَلكَ وحَسْب. تذكَّرَ مَرَّةً أخْرَى حكايَةَ بيليغرينا عَنِ الأميرَة التي لَمْ تكُنْ تُحبُّ أحَداً. وتذكّر أن السّاحرة حوَّلتْها إلى خنْزيرٍ بَرّيٍّ لأنَّها لَمْ تكُنْ تُحبُّ أحَدًا... لقَدْ استوعبَ الأمرَ الآنَ.

سَمعَ بيليغرينا تقُول: «إنَّكَ تخيِّبُ أمَلي!»

«لماذا؟» سَألَها. «لماذا أخَيِّبُ أملَكِ؟»

لكنَّهُ أصْبَحَ يَعْرِفُ الجوابَ على هذا السُّؤالِ أيْضاً، يَعرِفُ أنَّه لَمْ يحبَّ أبيلين بِمَا يكْفي... وقَدْ ضاعَتْ مِنْهُ الآن، ولَنْ يَستَطيعَ مطلقًا أن يُصْلِحَ الأمَورَ. وذهَبَتْ نيللي ولورنس أيضاً، وهُوَ يفتَقِدهُما بشدَّة، ويوَدُّ لَوْ أنه مَعَهُما.

تساءَلَ الأرْنَبُ عمَّا إذا كانَ هَذَا حُبّاً!

مرَّتِ الأيامُ واحِداً بعْدَ الآخَرِ، وإدوارد لا يَعي من دُنياه إلا مرورَ الوقت فَقَط، وذلك حينما يسمعُ في الصباحِ صَوْتَ إيرنيسْت وهُوَ يُؤَدّي طَقْسَهُ الخاصّ، يُثَرْثِرُ بِجَلَبَةٍ وَيَتَبَجَّحُ مُعلنًا على الملأ أنه ملكُ العالَم.

في يَوْمِه الثّامِنِ عَشَرَ بَعْدَ المائةَ في القُمَامَة، جاءَ الخَلاصُ إلى إدوارْد بطَريقَة غَيْرِ عاديَّةٍ علَى الإطْلاق: انزاحَتِ القُمَامَةُ مِنْ حَولِه، وسَمِعَ الأرْنَبُ تردّدَ أنفاسِ كلبٍ ولُهاثه، تَبِعه صوتُ نَبْشِ مسعورٍ أزاحَ عنه القُمامة مرَّةً أخْرى. وعلَى حينِ غرَّة، على نَحْوٍ مُعْجِزٍ، أشْرَقَ ضَوْءُ ما بعْدَ الظهيرَةِ الشَّبيهِ بِلَوْنِ الزُّبدَةِ علَى وَجْهِ إدوارْد.

الفصل الثاني عشر

لَمْ يكُنْ لدى إدوارد الكَثيرُ مِنَ الوقْت ليسْتَمتعَ بالضَّوءِ، لأنَّ الكَلْبَ ظَهَرَ فجْأةً فَوقَهُ، داكن اللَّون وأشْعَثَ، سادًّا المشْهَدَ أمامَهُ. سُحِبَ إدوارد مِنَ القُمامَة مِنْ أُذُنَيه، وأُسْقِطَ، ثُمَّ التُقِطَ مَرّةً أخْرَى مِنْ وسَطِه هذِهِ المرَّة، وأُرجِحَ إلى الأمام وإلى الوراءِ بقَدْرٍ كبيرٍ مِنَ الخُشونَة.

زمجَرَ الكَلْبُ الصَّغيرُ مِنْ أعْماقِ حنجُرَتِه، ثُمَّ أسْقَطَ إدوارد مَرَّةً أخرى ونَظَر إلى عيْنَيه. وحَدَّقَ إليه إدوارد بدَوره.

«هيه، اخْرُجْ مِنْ هُناكَ، أنتَ أيها الكَلْبُ.» كانَ ذلِكَ هُوَ إيرنيسْت ملِكُ القُمامَة، وبالتالي مَلِكُ العالَم.

أمسَكَ الكلْبُ بإدواردَ مِنْ فُستانِهِ الزهْريِّ، وغادَرَ راكِضًا.

«هذا لي، هذا لي، كُلُّ القُمامَةِ لي،» صرَخ إيرنيسْت.

«هيه، أنتَ: عُدْ إلى هُنا!»

لكنَّ الكَلْبَ الصَّغيرَ لَمْ يتوقَّفْ..

كانتْ الشمسُ ساطعةً، وشَعَرَ إدواردُ بالانتعاشِ والبَهْجَة... مَنْ كانَ لِيُفكِّرَ ممَّنْ عرَفَهُ سابقًا في أنه سَيشْعُرُ بِمثْلِ هذه السَّعادةِ الجمَّة الآن، وهُوَ مَكْسُوٌّ تمامًا بالقُمامَة، يرتدي فُسْتاناً، يحملهُ فمُ كلْبٍ يَفيضُ باللُّعابِ، ويُطارِدُهُ رَجُلٌ مَجنُونٌ؟

لكنَّهُ كانَ سَعيداً.

رَكَضَ الكَلْبُ وركَضَ حتّ وَصَلَ إلى سكَّةٍ حَديد. وعَبَرَ المَجازَ. وهُناكَ، تَحْتَ شَجَرةٍ ضامِرَةٍ مَهْزولَةٍ، أسْقَطَ الكلْبُ إدوارْدَ أمَامَ قَدمين ضَخمَتَين.

شرَعَ الكَلْبُ في النُّباح.

رفَعَ إدوارد بَصَرَه ورأى أن القَدَمَيْنِ تَتَّصِلانِ بِرَجُلٍ هائِلِ الحَجْمِ ذي لِحْيَةٍ طويلَةٍ داكِنَة.

«ما هَذا يا لوسِي؟» قالَ الرَّجُلُ.

انحنى والتقطَ إدوارْدَ، وأمسَكَ به بقُوَّةٍ مِنْ وَسَطِه..

«لوسي!» قالَ الرَّجُلُ. «أعْرِفُ كَمْ تستَمْتِعينَ بكَعْكَةِ الأرْنَب.»

نَبَحَتْ لوسي.

«نعَمْ .. نعَمْ.. أعلَمُ أنَّ فَطيرَةَ الأرْنَبِ هِيَ بَهْجَةٌ حَقيقِيَّةٌ، إحْدَى مُتَعِ وجُودِنا.»

نَبَحَتْ لوسي بأملٍ.

«وماذا لَدَينَا هُنا، ما الذي أحْضَرْتِه إلَيَّ بكُلِّ هَذا الكرم، إنَّهُ أرْنَبٌ بلا رَيْبٍ، لَكِنَّ أفضَلَ طبّاخٍ في العالَمِ سينْفَطِرُ قَلْبُهُ حتّى يُحَوِّلَهُ إلى فَطيرَةٍ...

عَوَتْ لوسي.

«هَذَا الأرْنَبُ مَصْنُوعٌ مِنَ الخَزَفِ يا فَتاة.» أدنى الرَّجلُ إدوارد منه ونَظَرَ كلٌّ منهُما في عَينيّ الآخَر: «إنَّكَ مَصْنوعٌ مِنَ الخَزَفْ، أليس كذلكَ يا مَالوني؟» ثم هَزَّ إدوارد هَزَّةً مَرِحَةً. «إنَّكَ لُعْبَةُ طِفْلٍ ما، هَلْ أنا عَلَى صَواب؟ وقدْ انفصَلْتَ بطريقةٍ ما عَنْ الطِّفْلِ الذي يُحِبُّكَ.»

أحَسَّ إدواردُ ثانيَةً، بالألَم الحادِّ في صَدْرِه. فكَّرَ في أبيلينَ. رأى المَمَرَّ المُفْضي إلى البَيْتِ في شارعِ مِصْرَ. رأى الغَسَقَ يَهْبِطُ، وأبيلينَ تهرع إليه.

نَعَمْ، لقَدْ أحبَّتْهُ أبيلينُ.

«وإذَنْ، يا مالوني،» قالَ الرَّجُلُ ثم تَنحنَحَ ليجليَ حُنْجُرَتَهُ، «أنت تائهٌ، هكذا أخمِّنُ. وأنا ولوسي تائهان أيْضاً.»

عِنْدَ سَماعِ اسْمِهَا، نبحت لوسي من جديد.

«رُبَّمَا تُحبُّ أنْ تتيهَ مَعَنا،» قالَ الرَّجُلُ، «لقَدْ وجَدْتُ أنَّه مِنَ الأفْضَلِ بكَثيرٍ أنْ يتيهَ المَرْءُ وهو برفْقَةِ آخَرينَ. اسْمي بَلْ.. ولوسي، كَمَا ولا بُدَّ أنْ تكُونَ قَدْ حَدَسْتَ، هِيَ كلْبَتي، هَلْ يَهُمُّكَ الانضِمَامُ إلَيْنَا؟»

انتَظَرَ بَلْ للَحْظَةٍ، مُحَدِّقاً إلى إدوارْد، ثُمَّ وفيما يداه تَلتفَّان بقوّة حولَ خَصْرِ إدوارد، رَفَعَ الرَّجُلُ أحَدَ أصَابعِه الهائلَة ولامسَ به رأسَ إدوارْدَ مِنَ الخَلْفِ، ودفعه بحَيْثُ بدَا إدواردُ كأنهُ يُطْرِقُ برَأسِه مُوافقًا.

«أنظُري يا لُوسي، إنهُ يَقُولُ نَعَمْ،» قالَ بَلْ. «لقَدْ وافَقَ

مالوني علَى التَّرحال مَعَنا. أَلَيْسَ هذا رائعاً؟»

رقَصَتْ لوسي حَولَ قدَمَيّ بَلْ وهِيَ تَهُزُّ ذَيْلَهَا وتَنْبَحُ. وهكَذَا واصَلَ إدوارْدُ طَريقَهُ مَعَ المتشرّد الجَوَّالِ وكلْبَتِه.

telegram @
yasmeenbook

الفصل الثالث عشر

سَافَرُوا علَى الأقْدام، سَافَروا في سيَّاراتِ الشَّحْنِ الفارِغَة.. كانُوا دائمي التَّرْحالِ.

«لكنَّنا في الحَقيقَة لَسْنا ذاهبينَ إلى أيِّ مَكَانٍ،» قالَ بَلْ.

«تِلْكَ يا صَديقي هيَ المُفارَقَةُ في حرَكَتنَا الدَّائمَة.»

كانَ إدوارْدُ يرْكَبُ في حَقيبَةِ ظَهْرِ بَلْ. لا يظهر منه في وضعيّته المعلّقة تلك على ظهر بَلْ سوَى رأسه وعَيْنَيْه. وقد حَرِصَ بَلْ دائماً علَى وَضْع الأرْنَبِ بحَيْثُ لا يَنظُرُ إلى الأعْلَى وَلا إلى الأسْفَلِ، لكن، ينظر بدلاً من كلِّ ذلك، دائمًا وأبدًا، إلى الوراء؛ إلى الطَّريقِ التي قَدْ قَطَعوها لتوِّهم.

في اللَّيل، كانوا يَنامُونَ علَى الأرْضِ، تَحْتَ النُّجُوم. أمَّا لُوسي، وبَعْدَ غضْبَتِهَا الأولى مِنْ كَوْنِ إدوارْدَ غيْرَ صالحٍ

للاستهْلاك، فقَدْ بدَأتْ تُكنُّ لَهُ حُباً وتَنَامُ مُلْتفَّةً إلى جانبه، بَلْ إنَّها أحيانًا أراحت رَأسَها علَى مَعدَته الخَزَفيَّة. وعِنْدَئذٍ، كانَ صَدَى الأصْوَاتِ التي تُصْدِرُهَا في نَومها، من همهَمة وهَرير وزَمْجَرة، يترَدَّدُ في جِسْم إدوارْدَ. وعلَى نَحْوٍ فاجَأهُ هُوَ نفْسَهُ، بدَأ يَشْعُرُ بالوُدِّ تجَاه الكَلْبَة.

في أثناء اللَيْل، بينَما يَنام بَلْ ولُوسي، يحدّق إدوارْدُ عالياً بعَينَيْه المَفتُوحَتَيْن دائماً إلى أبرَاج النُّجُوم. ثمّ يذكرُ أسماءَها، ويُتبعُها بأسماءِ النَّاسِ الذينَ أحَبُّوهُ.. يَبْدَأ بأبيلينَ، ثُمَّ نيللي ولُورَنْسَ، ومِنْ هنَاكَ يَذْهَبُ إلى بَلْ ولُوسي، ثُمَّ يَنْتَهي بِهِ المَطافُ مَرَّةً أخْرَى إلى أبيلينَ: أبيلين، نيللي، لورَنْس، بَلْ ، لوُسي، أبيلين.

«أترَيْنَ؟» قالَ إدوارْدُ لبيليغرينا، «أنا لَسْتُ مِثْلَ اللأَميرَة، إنّني أعْرِفُ ما هُوَ الحُبُّ.»

كانتْ ثَمَّةَ أوقاتٌ أيْضاً عَنْدَما يجتمعُ بَلْ ولوسي حَوْلَ نيرَانٍ مُخَيَّم مَعَ متشرّدين آخَرينَ. ومع أن بَلْ راوي حِكَايَاتٍ جَيِّد، بدا أنَّه أكثرُ براعةً في الغناء.

كانَ الرِّجَالُ يصْرُخُونَ: «غَنِّ لَنَا يا بَلْ».

فيعدِّلُ بَلْ من قعْدَته بينَمَا تتَّكِئُ لوُسي علَى ساقِهِ، ويجلس

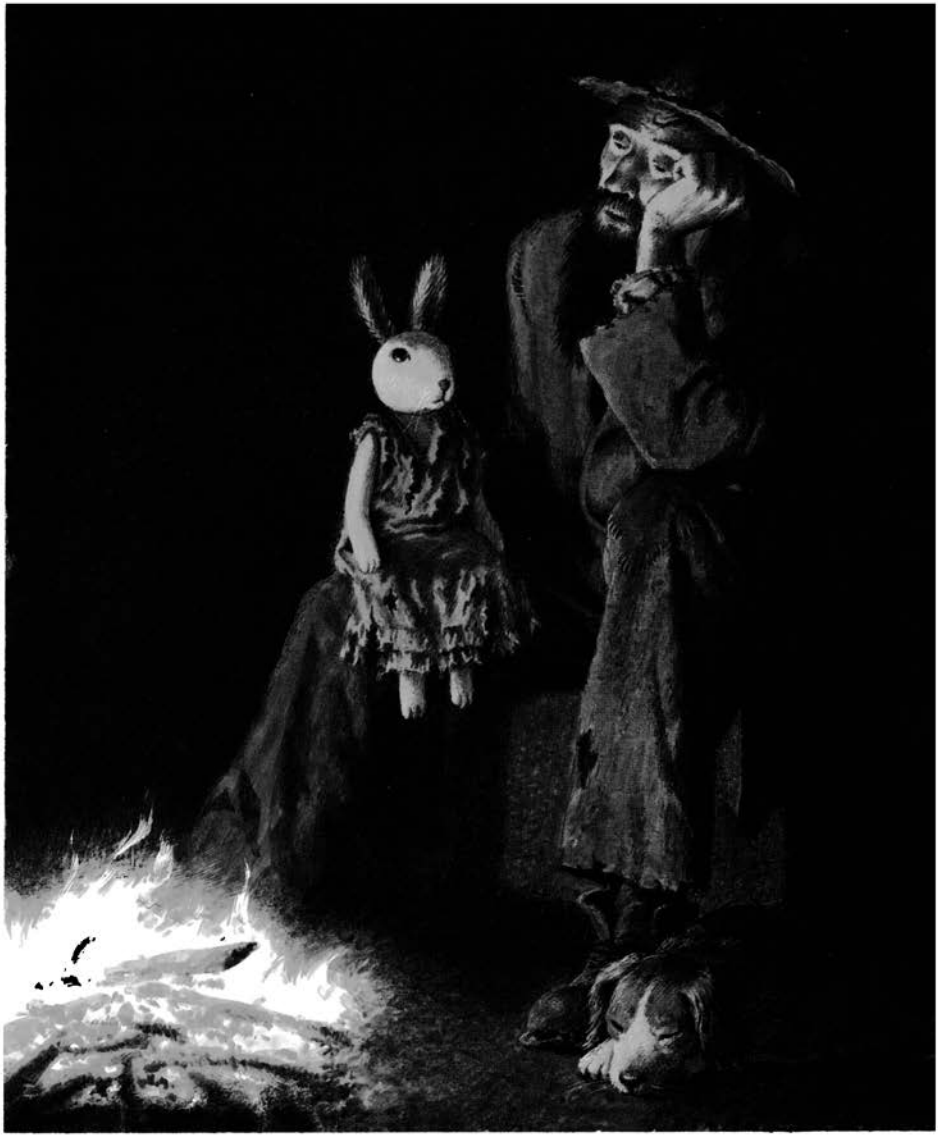

أحبَّ إدوارْدُ غِنَاءَ بَلْ.

إدوارْدُ مُتوازِنًا علَى رُكْبَتِه اليُمْنى، ويُغَنّي مِنْ مَكانٍ ما عَميقٍ في داخله... وتَمامًا كَما كانَ إدوارْدُ يُحِسُّ بهَمْهَمَات لوُسي وهَريرِهَا تَتَرَدَّدُ عَبْرَ جَسَدِه في اللَّيْلِ، فقَدْ وَسِعَهُ أيضاً أنْ يَشْعُرَ بِصَوْتِ بِلْ العَميقِ وهُوَ يَسْري في أوصالِه. لقد أحبَّ إدوارْدُ غِنَاءَ بِلْ.

وكانَ مُمتَنًّا لبِلْ أيضًا، لأنهُ رأى أنَّ الفُسْتانَ لَيْسَ هُوَ الزِّيُّ الذي يُناسِبُ إدوارْد.

في إحْدَى الليالي قالَ بِلْ: «مالوني، لا أرْغَبُ في أنْ أُثيرَ حَفيظَتَكَ، أوْ أنْ أُعَلّقَ بشَكْلٍ سَلْبِيٍّ علَى اختيارِكَ للزيّ، لكَنَّني مُرْغَمٌ علَى إخْبارِكَ بأنَّكَ تَبْرُزُ مِثْلَ الإبْهامِ المُتَقَرِّحةِ مِنْ فُسْتانِ الأميرَةِ هَذَا. وأيضًا، أقُولُ مَرَّةً أخْرَى، ومن غير أنْ أقصِدَ إغاظَتَكَ، إنَّ هذا الفُسْتانُ قَدْ رَأى أيامًا أفضَلَ.»

لَمْ يَنْتَهِ المطافُ بفُستانِ نيللي إلى حَالٍ حَسَنَةٍ في القُمَامَةِ، أوْ في التَّجوالاتِ اللاَّحِقَةِ مَعَ بِلْ ولوُسي، بل غدَا باليًا جدًا وقذرًا ومُفعمًا بالثقوب، حتى كادتْ أنْ تَطمسَ جميعَ مَعالمِه.

«لدَيَّ حَلٌّ،» قالَ بِلْ. «وآمَلُ أنْ ينالَ مُوافقتَكَ.»

تناوَلَ قَلَنْسَوَتَهُ الطويلَةَ المَحْبوكَةَ ذات الشَّكلِ المخرُوطيّ،

وَثَقَبَ قمَّتَها مُحدثًا فيها فُتحَة، وجَعَلَ لَها فَتْحَتَيْنِ صَغيرَتَيْنِ علَى جانِبَيهَا، ثُمَّ خَلَعَ فُسْتانَ إدوارْد..

«انظُري إلى الناحيَةِ الأخْرَى،» قالَ للْكَلْبَةِ، «دَعِينَا لا نُحْرِجُ مالوني بالتَّحْديقِ في عُرْيِه.»

ثُمَّ أَزْلَقَ بَلْ القبَّعَةَ علَى رأسِ إدوارْدَ وسَحَبَها إلى الأسْفَلِ، ودَسَّ ذراعَيْه في الثُّقْبَيْنِ الصَّغيرَيْنِ. وقالَ لإدوارْد: «ها أنْتَ ذَا، الآنَ أصبَحْتَ بحاجَة إلى سِرْوالٍ ما.»

صنَعَ بَلْ السِّرْوالَ بنَفْسه؛ قَصَّ عِدَّةَ مناديلَ حَمْراءَ وخاطَها مَعاً حتّى صَنَعَتْ غطاءًا مُؤقَّتًا لساقَيّ إدواردَ الطَّويلَتَيْن.

«الآنَ أصبَحَ لَكَ مَظْهَرُ خَارِجٍ حَقيقيٍّ علَى القانُون:» قالَ بَلْ وهُوَ يميلُ إلى الوَرَاء ليُبْدِي إعجَابَهُ بعَمَلِه، «الآنَ أصبَحْتَ تَبدُو مِثْلَ أرْنبٍ هَارِبٍ.»

الفصل الرابع عشر

في البِدَايَةِ، ظَنَّ الآخَرونَ أنَّ إدوارْدَ نُكْتَةٌ كَبيرَةً.

«أرنَبٌ،» قالَ الرِّجالُ وهُمْ يَضْحَكونَ، دَعُونَا نقَطِّعُهُ ونَضَعُهُ في وِعاءِ الطَّبْخِ.» أو، عِندَمَا يَجلسُ بِلْ وإدوارد يَقْبَعُ مُتوزانًا بِحَذَرٍ علَى رُكْبَتِه، قد يَنْبَري أحدُهم هاتِفًا: «هَلْ حصَلْتَ لِنَفْسِكَ علَى لُعْبَةٍ صَغيرَةٍ يا بِلْ؟»

بالطَّبع، كانَ إدوارْدُ يَشْعُرُ بِسَوْرَةِ غَضَبٍ عِنْدَما يُشَارُ إلَيْهِ علَى أَنَّهُ لُعْبَةٌ. لكِنَّ بِلْ لَمْ يَغْضَب قطّ. ولطالما اكتفَى بالجلُوسِ ببَساطةٍ وإدوارْدُ علَى رُكْبَتِه من غَيرِ أنْ يقولَ شَيئاً. وسُرْعَانَ ما اعتَادَ الرِّجَالُ علَى إدوارْد، وانتَشَرَ خَبَرُ وُجُودِه.. وهكذا جَرَت الأمورُ كلّما وَصلَ بِلْ ولوُسي إلى نارِ مُخَيَّم في بَلْدَةٍ أخْرَى، وولايَةٍ أخْرَى، أوْ أيِّ مَكانٍ آخَر جديدٍ عليهم. كانَ الرِّجالُ

يَعْرِفُونَ إدوارْدَ ويُسَرُّونَ لرُؤيَتِه.

كانوُا يَهْتِفُونَ بِصَوْتٍ واحدٍ مُتَناغِم: «مالوني!»

وهذا جَعَلَ إدوارد يشعرُ بِفيْضٍ عارمٍ من البهجَةِ لأنَّهُ مُمَيَّزٌ.. ولأنهُ مَعْرُوفٌ.

مهْمَا كانَ ذلك الشَّيءُ الذي بدَأ في مَطْبَخ نيللي، فإنَّ قُدْرَةَ إدوارْدَ الجَديدَةَ والغريبة علَى الجُلوسِ بِمُنتَهى الهُدُوءِ؛ وعلى تركيز كيانه كُلِّه علَى سَماعِ قِصَصِ شخْصٍ آخَرَ، أصْبَحَتْ مَزِيَّةً لا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ حَوْلَ نيران المُخيَّم.

في ذاتِ مَساءٍ، قالَ رجُلٌ يُدْعى جاك: «انظرُوا إلى مَالوني، إنهُ يَسْتَمِعُ إلى كُلِّ كلمةٍ تُقال.»

«طَبْعًا...» أجابَ بِلْ، «إنَّهُ يَسْتَمِعُ بِكُلِّ تأكيدٍ.»

في وَقْتٍ لاحِقٍ مِنْ تِلْكَ الليلة، جاءَ جاك وجَلَسَ إلى جانب بِلْ والتمسَ منه اسْتعارَةَ الأرْنَب، فأعطاه بِلْ لَهُ. وما لبثَ جاك أن جَلَسَ وأجْلَسَ إدوارْدَ علَى رُكْبتِه، ثم هَمَسَ في أُذُنِ إدوارْد.

«هيلين، وجاك الصَّغير، وتافي وهي الصُغرى،» قالَ جاك. «إنها أسْمَاءُ أبنائي. وهم جَميعًا يَعيشُونَ في كارولينا الشمَاليَّة.

ألَمْ تَذْهَبْ أبَداً إلى كارولينا الشمَاليَّة؟ إنَّها ولايَةٌ جَميلَةٌ. هُناكَ يُقيمُونَ. هيلين، وجاك الصَّغير، وتافي. تذَكَّرْ أسْمَاءَهُمْ، هلاَّ فعلتَ يا مَالوني؟»

بعْدَ ذلكَ، وأينَمَا ذَهَبَ بَلْ ولوُسي وإدوارْد، كانَ مُتَسَوِّلٌ جوَّالٌ ما يأخُذُ إدوارْدَ جانبًا، ويَهْمِسُ بأسْمَاءِ أبنائِهِ في أُذُنِهَ: بيتي، تيد، نانسي، ويليام، جيمي، سكيبر، فيث.

كانَ إدوارْدُ يعْرِفُ أنَّ الأمْرَ أشْبَهُ بقَوْلِ أسْمَاءِ أولئكَ الذينَ خلّفتهم وراءك مِرارًا وتكرارًا. عَرَفَ شعورَ المرءِ حينما يفقدُ أحَدًا ما. وهكَذا دأبَ على الاسْتِماع. وباسْتِماعِهِ، اتّسَعَ قلْبُهُ أكْثَرَ فأكْثَرَ.

ظلَّ الأرْنَبُ تائِهًا مَعَ لوُسي و بَلْ لوَقْتٍ طَويلٍ، ومرَّتْ حَوالَي سَبْعُ سَنَوات. وفي ذلكَ الوَقْت، أصْبَحَ إدوارْدُ مُتَسَكِّعاً مُمْتازاً: سَعيدًا حينَ يكُونُ علَى الطَّريقِ، وقَلقًا عنْدَما يَسْتَقرُّ. أصبَحَ صَوْتُ العَجَلاتِ علَى سِكَكِ القِطاراتِ مُوسيقَى تُهَدِّئُ مِنْ رَوْعِه. وكانَ يَوَدُّ لَوْ يبقى مُسَافِرًا علَى السِّكَكِ إلى الأبَدِ. ولكِنْ، في ذاتِ لَيلَةٍ، وفِي سَاحَةِ سِكَكِ الحَديدِ في مَمْفيسَ، وبيْنَما بَلْ

ولوسي يَنامان في عَرَبَةِ شَحْنٍ فارِغَةٍ، وإدوارد يَتَوَلّى المُراقَبَةَ، جاءَتِ المَتاعِبُ.

دخَلَ رَجُلٌ إلى عَرَبَةِ الشَّحْنِ، وسَلَّطَ ضَوءَ مِصْباحِ يَدٍ على وجْهِ بِلْ ورَكَلَهُ فاسْتَيقَظَ.

«أنْتَ أيُّها المُتَشَرِّدُ، أيُّها المُتَشَرِّدُ القَذِرُ،» قالَ الرَّجُلُ. «لقَدْ ضِقْت ذَرْعاً بِكُمْ وأنْتُمْ تنامونَ في كُلِّ مَكانٍ. لَيْسَ هَذا فُنْدُقاً!»

جلَسَ بِلْ ببُطْءٍ، وبدأت لوُسى تَنبَحُ.

«أقْفِلي فَمَكِ،» قالَ الرَّجُلُ، ثم وجَّهَ رَكْلَةً سَريعَةً إلى جانِبِ لوُسى جَعلَتها تَعوي مِنْ هَوْلِ المُفاجَأةِ.

طَوالَ حياته، عَرفَ أدوارد ما هو: أرنبٌ مصْنوعٌ مِنَ الخَزَفِ الصِّينِيِّ، أرْنبٌ بأذْرُعٍ وسيْقانٍ قابلة للانْثناء، إضافةً إلى تميّزه بالمرونة التي تجعلُه قابلاً للطَّيِّ بأيدي الآخرين. لكنه لَمْ يكُنْ يَسْتَطيعُ تحريكَ نَفسه بنفسه.. وهذا لم يُسبِّب لهُ الأسى مطلقًا على نَحْوٍ أكثَرَ عُمْقًا مِمَّا سبّبه له في تلْكَ الليلَة، لما عُثر عليه هُوَ و بِلْ ولوُسي في العرَبَةِ الفارِغَةِ. أرَادَ إدوارْدُ أنْ يكُونَ قادِرًا

علَى الدِّفاعِ عَنْ لوُسي، إلا أنّه عجزَ عن فعلِ أيّ شيءٍ.... كُلُّ ما اسْتطاعه هو الاسْتِلقاءُ هناكَ والنَّظر. قالَ الرَّجُلُ لِبِلْ: «قُلْ شَيئاً.»

رفَعَ بِلْ يدَيه عَالياً في الهَواء وقالَ: «نَحْنُ ضائعُونَ.»

«ضائعُونَ، ها. يمكنُكَ أنْ تُراهنَ على أنَّكُمْ ضائعُونَ.»

ثُمَّ قالَ الرَّجُلُ: «ما هَذا؟»، وسَلَّطَ الضَّوْءَ علَى إدوارْد.

«هذَا مَالوني،» أجاب بِلْ.

«ما هذَا بحَقِّ الجَحيم؟» أردفَ الرَّجُلُ وَوَكَز إدوارْدَ بمُقدّمَةِ حذائه. «إنَّ الأشْياءَ خارِجَةٌ عَنِ السَّيطَرَة، الأمورُ خَارِجَ اليَد، ولكِنْ ليسَ في نَوْبَةِ حراسَتي، لا يا سيِّدي، ليْسَ عنْدَما أكُونُ أنا المسْؤول.»

بدَأ القِطارُ فجْأةً بالتَّحرُّك.

«لا يا سيِّدي،» قالَ الرَّجُلُ مرَّةً أخْرى. ونظَرَ مِنْ فَوقٍ إلى إدوارْدَ. «لا رُكُوبَ مجّانيًا للأرانب.» استدَارَ وفتَحَ بابَ العَرَبَة، ثُمَّ كَرَّ عائدًا، وبرَكْلَةٍ واحِدَةٍ سَريعَةٍ، أرْسَلَ إدوارْدَ مُحَلِّقًا إلى الظلام في الخارج.

طارَ الأرْنَبُ في هَوَاءِ أواخِرِ الرَّبيعِ. ومن بعيدٍ خَلْفَهُ، سَمِعَ

عُواءَ لوُسي المُغْضَبَ:-

«أروووووو! أهروووووو!» انبرت تَصيحُ..

هبَطَ إدوارْدُ وسَقَطَ سُقُوطًا مُؤْلِمًا مُحْدثًا صَوْتًا مَكْتُومًا، وتدَحْرَجَ وتدَحْرَجَ وتدَحْرَجَ هابطًا علَى امتداد تلَّة مرتفعة قَذرَة، ثُمَّ كَفَّ في النِّهاية عَنِ الإبْحَارِ... وهَمَدَ مُسْتلقيًا علَى ظَهْرِه، يُحَدّقُ عَاليًا في سَمَاءِ اللَّيلِ.. وكانَ العالَمُ صَامتًا.. لَمْ يسْتَطِعْ أنْ يسْمَعَ لوُسي. ولَمْ يعدْ في وُسْعه أنْ يَسْمَعَ القِطارَ.

نظَرَ إدوارْدُ عاليًا إلى النُّجُومِ، وبدأ يعدّد أسماءَ الأبراجِ، لكِنَّهُ ما لبثَ أن توقَّفَ.

بَلْ، قالَ قلْبُهُ، لوُسي.

تسَاءَلَ إدوارْد، كَمْ مَرَّةً سَيَتَحتَّمُ عليه أنْ يُغَادِرَ من غير أنْ تتَسنّى لَهُ الفُرْصَةُ ليقُولَ وَداعًا؟

شرَعَ جُدْجُدٌ في الغِناء.

استَمَعَ إدوارْد.

ثَمَّة شَيْءٌ عَميقٌ في داخله كانَ يُؤْلِمُهُ.

تَمَنَّى لوْ أنهُ يَسْتَطِيعُ البُكاء.

الفصل الخامس عشر

في الصَّباح، أشْرَقَت الشَّمْسُ، وأفْسَحَتْ أغنيَةُ الجُدْجُد المكَانَ لتغريد الطُّيور، وجاءَتْ امرَأةٌ عَجوزٌ تنحدرُ علَى الطريق القَذِر، وخَطَتْ مُباشَرَةً فَوْقَ إدوارْد.

«أفّ!» قالتْ، ودَفَعَتْ إدوارْدَ بقَصَبَة صنَارَة صَيدهَا. «يبدُو كأنَّهُ أرْنَبٌ.» أنزَلَتْ سلَّتَهَا وانْحَنَتْ وحدَّقَتْ إلى إدوارْد. «غيْرَ أنهُ ليْسَ أرنبًا حَقيقيًا.» عادَتْ واعتَدَلت، وقالَتْ ثانيَةً: «أفّ!» وحَكَّتْ ظهْرَهَا: «ما أقولُهُ هُوَ أنَّ هُناكَ استِخْدَامًا لِكُلِّ شَيْءٍ، ولِكُلِّ شَيْءٍ فائدَةٌ، هَذَا مَا أقُولُه.»

لَمْ يهْتَمَّ إدوارْدُ بِمَا قالَتْ. لقد ذهب الألَمُ المُروِّعُ الذي أحَسَّ بِهِ في اللَّيلة المَاضيَة، وحَلَّ مَحَلَّهُ شعُوْر مُخْتَلِفٌ، شُعُورٌ بالخَواءِ واليَأسِ.

فكَّرَ الأرْنَبُ: التَقِطيني أوْ لا تلتَقِطيني... فذَلِكَ لَنْ يُحْدِثَ فَرْقاً لدَيَّ.

التَقَطتْهُ المَرْأةُ العَجُوزُ.

طوَتْهُ طيَّتَين ووضَعَتْهُ في سَلَّتِهَا التي تَعْبَقُ برائحَةِ الأعْشَابِ والسَّمَكِ. ثُمَّ تابعَتِ المَسيرَ، وهِيَ تُؤَرْجِحُ السَّلَّةَ وتُغَني، «لا أحَدَ يَعْرِفُ المتاعِبَ التي رأيْتُ.»

استمَعَ إدوارْدُ رُغْماً عَنْهُ.

فكَّرَ: لقَدْ رأيْتُ متاعِبَ بدَوري... لَكِ أنْ تُراهِني علَى أنَّني قَدْ فَعَلْتُ، ويبدُو أنَّها لَمْ تنْتَه بَعْدُ.

كانَ إدوارد علَى حَقٍّ. لَمْ تكُنْ متاعِبُهُ قَدِ انتَهَتْ.

لقَدْ وجَدَتِ المرأةُ العَجوزُ استخداماً لَهُ.

علَّقَتْهُ علَى عَمودٍ في حديقَةِ خَضْرَواتِهَا. دقَّتْ أُذُنَيه بالمَسامِيرِ إلى سَارِيَةٍ خَشَبِيَّةٍ، ومَدَّتْ ذراعَيْه إلى الجانبَيْنِ كمَا لَوْ أنه يَطيرُ، ورَبَطَتْ مَخالِبَهُ إلى السَّارِيَةِ بلَفِّ قِطَعٍ مِنَ الأسْلاكِ حَوْلَهَا. وعلى جانبي إدوارْد، تدَلَّتْ أوعِيَةُ خَبْزِ الفَطائِرِ المَعدنِيَّةِ مِنَ السَّارِيةِ، مُصلْصِلَةً ومُقَعْقِعَةً ولامِعَةً تحتَ شَمْسِ الصَّباحِ.

«ليسَ لدَيَّ أدنى شَكٍّ في أنَّكَ تستَطيعُ أنْ تُرعِبَهُمْ وتُبعِدَهُمْ،» قالتِ السَّيدَةُ العَجُوزُ.

تساءَلَ إدوارْد: «أُرعِبُ وأُبعِدُ مَنْ؟»

وسُرْعانَ ما اكتشَفَ: إنَّها الطُّيورُ.

الغِرْبانُ، جاءَتْ طائِرَةً إلَيهِ، تنْعَقُ وتزعق وتصيح فَوْقَ رأسِهِ، وتَهبِطُ مستهدفةً أُذُنَيْه.

«هيَّا يا كلايْد،» قالَتِ المرأةُ، وصَفَّقَتْ بِيَدَيها: «علَيكَ أنْ تتَصَرَّفَ بِشَراسَةٍ.»

كلايْد؟ شعَرَ إدوارْدُ بسَأمٍ عميقٍ جداً يتخلَّلُهُ حتّى ظَنَّ أنَّهُ رُبَّمَا يستَطيعُ فِعْلاً أنْ يتَنهَّدَ بِصَوْتٍ عَالٍ. هَلْ سيكُفُّ العالَمُ أبداً عَنْ مُناداته بالاسْم الخَطَأ؟

صفَّقَتْ المرأةُ العجُوزُ بيدَيهَا مرَّةً أُخْرَى، «اشرَعْ بالعَمَلِ يا كلايْد، أرْعِبْهُمْ وأبْعِدْهُمْ،» ثُمَّ مضَتْ مُبتَعِدَةً عنْهُ، مُغادِرَةً الحديقة ومُيَمِّمَةً بيْتَها الصَّغير.

كانتْ الطُّيورُ مِلْحاحَةً. ظلَّتْ تحومُ حَوْلَ رأسِه، وتَشُدُّ بعنُفٍ الخِيطانَ السَّائبَةَ في سُتْرَتِه.. ثَمَّةَ غُرابٌ ضَخْمٍ علَى وَجْهِ

الخُصُوصِ أَصَرَّ على ألا يَدعَ الأرْنَبَ وشَأنَهُ. وما انفكّ يَحُطُّ علَى السَّاريَةِ وينعق برِسالَةٍ كئيبةٍ في أذُنِ إدواردَ اليُسْرَى- كاو، كاو، كاو، بلا تَوَقُّف. وبينَمَا زادت الشمسُ من ارتفاعِها، وغَدَت أكْثَرَ سطوعًا ولَمَعانًا، تَشَوَّشَ ذِهْنُ إدوارْدُ على نحوٍ ما، وجعله يرى الغُرابَ الضَّخْمَ كَأنهُ بيليغرينا.

فكَّرَ: هَيا، حَوِّليني إلى خِنْزيرٍ بَرِيٍّ إذا أرَدْت، لن أهتمّ، فَقَدْ سَئِمْتُ من الاهْتمام. «كاو، كاو!» نعقَ غُرابُ بيليغرينا.

أَخيراً غَرُبَتِ الشَّمْسُ، وحلّقت الطُّيورُ مُبْتَعِدَةً. وتدَلَّى إدوارْدُ مِنْ أُذُنيْه وعَيْناهُ تَرنُوان عاليًا إلى سَمَاءِ اللَّيل. رأى النُّجُومَ. لَكنَّهُ للْمرَّةِ الأولى في حَياته، نظَرَ إليْهَا ولَمْ يَشْعُرْ بأيِّ سَلْوَى. وإنَّما أحسَّ بدَلاً مِنْ ذلكَ بأنَّهُ أصْبَحَ مَوْضِعَ سُخْرِيَةٍ.

«إنكّ وَحيدٌ هُناكَ في الأسْفَلِ!» بدَتْ النُّجوُم كما لو أنَّها تَقُولُ لَهُ.

«وَنَحْنُ في الأعَالي هُنا. في أبْرَاجنَا، مَعاً.»

«لطالما كنتُ محبوبًا،» قالَ إدوارْدُ للنُّجُوم.

«وماذا إذَنْ!» أجابت النُّجُومُ، أيَّ فَرْقٍ يُحْدِثُهُ هذا وقَدْ أصْبَحْتَ الآنَ وَحيدًا تَمامًا؟»

«لطالما كنتُ محبوبًا،» قالَ إدوارْدُ للنُّجُومِ.

لَمْ يَسْتَطِعْ إدوارْدُ التَّفْكيرَ في أيِّ إجابَة عَنْ هَذَا السُّؤَال.

بَعْدَ ذلكَ، أشْرَقَتِ السَّماءُ وَانطفأَتِ النُّجومُ واحدَةً تِلْوَ الأخْرَى. وعَادَتِ الطيُور، وكذلك عادتِ المَرأةُ العَجُوزُ إلى الحَديقَة.

وأحْضَرَتْ معَهَا صَبيًّا.

الفصل السادس عشر

قالَت المرْأةُ العَجُوزُ: «برايس، ابتَعِدْ عَنِ الأرْنَبِ، إنَّني لا أدْفَعُ لَكَ حتّى تَقِفَ وتُحَدِّقَ.»

«نعَمْ يا سيِّدَتي،» قالَ برايس. ومَسَحَ أَنْفَهُ بظَاهِرِ يَدِهِ وواصَلَ التحديق عاليًا إلى إدوارْدَ...كانَتْ عَيْنا الصَّبيِّ بُنّيتينِ تُوشِّيهما بُقَعٌ ذَهَبيَّةٌ.

هَمَسَ لإدْوارْد: «هيهْ!»

استَقَرَّ غُرَابٌ علَى رأسِ إدوارْدَ، فلَوَّحَ الصَّبيُّ بذراعَيْهِ وصاحَ: «هَيّا، اذْهَبْ،» ففتح الطَّيْرُ جَناحَيْهِ وطارَ مُبتَعِداً.

صرَخَتِ المرأةُ العَجُوزُ: «برايس!»

«سَيّدتي؟!» قالَ برايس.

«ابتَعِدْ عَنْ ذَلِكَ الأرنَب، قُمْ بِعَمَلِكَ، لَنْ أُكَرِّرَ هذا مرَّةً أُخْرَى.»

«إنني أفْعَلُ،» قالَ برايس، ومرَّرَ يدَهُ على أنْفِه، «سَأعُودُ لآخُذَكَ،» قالَ لإدوارْدَ.

أَمْضَى الأرْنَبُ سَحابَةَ اليَوْم مُعَلَّقاً مِنْ أُذُنَيْه، يَكْتَوي بأَشِعَّة الشَّمس الحَارَّة، ويُراقِبُ المَرْأةَ العَجُوزَ وبرايس وهُمَا يَقْتَلِعانِ العُشْبَ ويَعْزِقانِ الحَديقَةَ. وكلما غَفَلَت العجوزُ عن مُراقبةِ برايس، رفعَ يدَه ولوّحَ له بها.

دارَتِ الطُّيورُ مُحَلِّقَةً فَوْقَ رأسِ إدوارْد، وهِيَ تَسْخَرُ منْهُ.

تسَاءَلَ إدوارْد: كيْفَ يَشْعُرُ المَرْءُ لَوْ هُيِّيءَ لَهُ جَناحَان؟ لَوْ كانَ لَهُ جَناحَان عندَما قُذِفَ به مِنْ على ظَهْرِ السَّفينَة، لَمَا غَرِقَ إلى قَاعِ البَحْرِ، ولطار بدلاً من ذلك في الاتِّجَاه المُعاكِس، إلى الأعلى؛ إلى السَّمَاءِ العَميقَة الزَّرْقاءَ. ولطارَ خارجَ القُمَامة حينما ألْقَتهُ لولي في مَكبِّ النِّفايات، وتبعَها وهَبَط على رأسها مُعملاً فيه مخالبَه الحادّة. ولما سَقطَ على الأرض عندما ركَلهُ الرَّجلُ في القطار، بل لَحَلَّقَ وتَربَّعَ على سَطحِ القطارِ وسَخرَ من الرَّجلِ: كاو، كاو، كاو.

عِنْدَ العَصْرِ ، غَادَرَ برايسُ والسَّيدَةُ العَجُوزُ الحَديقَةَ،

وغَمَزَ برايْس لإدوارْد بعينه وهو يَمُرُّ به. حَطَّ أَحَدُ الغِرْبان على كَتف إدوارْدَ ونَقَرَ بمنْقاره وَجْهَ إدواردَ الخَزَفيّ، مُذَكِّراً الأَرنَبَ في كُلِّ هَجْمَةٍ بأنهُ لَيْسَ لَهُ أجنحَةٌ، وأنَّه ليسَ عاجزًا عن الطيران فَحَسب، بل ولا يَستطيع تَحريكَ نَفسه مطلقًا، ولا بأيِّ طَريقَة.

هَبَطَتْ ظلالُ الغَسَق علَى الحَديقَة، ثُمَّ حَلَّ الظلامُ الحَقيقيُّ. وغنّى طَائرُ السُّبْت الأمْريكيُّ أغْنيَةً لا تَنْتَهي. ويب – بور– ويل.. ويب – بور– ويل. كانَتْ أكثرَ الأغاني التي سَمعَها في حَياته حُزْناً. ثُمَّ تعالى صَوْتُ أغْنيَةٍ أُخْرى، هَمْهَمَةُ هارْمُونيكا.

خَطَا برايسُ خارجًا مِنَ الظِّلال.

«هَديةٌ،» قالَ لإدوارْد ومَسَحَ أنفَهُ بظَهْرِ يَده، ثُمَّ عزَفَ مقطعًا آخَرَ مِنْ أغنيَة علَى الهارمُونيكا: «أُرَاهِنُ علَى أنكَ ظَنَنْتَ أَنَّني لَنْ أعودَ. ولَكِنْ، هَا أنَذا، لقَدْ أتيْتُ لأخلِّصَكَ.»

وبينما أخذ برايس يتَسَلَّقُ السَّاريَةَ وَيفُكُّ الأسْلاكَ المَرْبوطَةَ حَوْلَ رُسْغَيه، فَكَّر إدوارد: لَقَدْ جئْتَ مُتأخِّرًا جدًا. إنني لَسْتُ سوَى أرْنَبٍ أجْوَفَ. مُتأخِّرًا جدًا. وفيما انهمكَ برايس بسَحْب المسامير من أُذُنيْه، فَكَّرَ إدوارد: إنَّني مُجَرَّدُ دُمْيَةٍ مَصْنوعَةٍ مِنَ الخَزَفِ الصِّينيِّ.

ولَكِنَّ، عِندَمَا نُزِع منه آخِرُ مِسْمَارٍ، سَقَطَ إلى ذراعَيّ برايس، واجتاحَت الأرنب موجةُ ارتياحٍ، وبعدها غمَره شُعُورٌ بِالجَذَلِ.

فكَّرَ، لعلّ الوَقتَ لم يَتَأَخَّر كثيرًا، على الرُّغمِ من كُلِّ شَيْءٍ، حَتّى يُخَلِّصَني أحَدٌ.

الفصل السابع عشر

علَّقَ برايس إدوارْدَ علَى كَتِفِهِ وشَرَعَ بِالسَّيْرِ.

«أتيتُ لآخُذَكَ إلى سَارَه روث،» قالَ برايس. «أنت لا تَعرِفُ سارَه روث. إنّهَا أُخْتِي، وهِيَ مَريضَةٌ. كانَتْ لدَيْهَا دُمْيَةٌ مِنَ الخَزَفِ الصِّينِيِّ. وقد أحبَّتْ تِلْكَ الدُمْيَةَ، لكنَّهُ كَسَرَهَا.

«نعم كَسَرَها. كانَ سَكْرانَ وداسَ علَى رأسِ الدُّمْيَةِ وهَشَّمَهُ إلى مِائةِ مِلْيُونِ قِطْعَةٍ. ولم أُفلِح في جمعِ تلك القِطَعِ لأُلصِقَها ثانيةً بِسببِ صِغرِها المتناهي. لَمْ أسْتَطِع. حاوَلْتُ وحَاوَلْتُ.»

عِنْدَ هذه النقْطَةِ مِنَ القِصَّةِ، تَوقَّفَ برايسُ عَنِ المشْيِ وهَزَّ رأسَهُ ومسَحَ أنفَهُ بِظَاهِرِ يَدِه.

«ليْسَ لدَى سَاره روث أيُّ شَيْءٍ جَميلٍ لِتَلْعَبَ بِهِ. إنهُ لا

يَشْتري لها شَيْئًا. يقُولُ إنَّها لَيسَتْ في حاجَةٍ إلى شَيْءٍ. يقُولُ إنَّها لا تَحْتاجُ لِشَيْءٍ لأنّها لَنْ تَعيشَ. لَكِنَّهُ لا يَعْرِفُ.»

تابَعَ برايس السَّيْرَ ثانيةً، وهتفَ مِن جديد: «إنَّهُ لا يَعْرِفُ.»

مَنْ المقصود بـ «هُوَ»، لَمْ يكُنْ ذلكَ واضِحاً لإدوارْدَ. أمّا ما اتَّضحَ لهُ فهو أنّه سيُؤْخَذ إلى طِفْلَة ما لِيُعَوِّضَها عَنْ ضَياعِ دُمْيَتِها. لكَمْ يكْرَهُ إدوارْدُ الدُّمَى، ولكم ثارَت حَفيظتُه من التَّفكير في أنَّه اعتُبِر البَديلَ المناسِبَ للدُّمْيَة. ومَعَ ذلكَ، لم يَجِدْ بُدًّا من أنْ يعْتَرِفَ: اتخاذُه بديلاً هو أفْضَلُ بِكَثيرٍ من التدَلّي مِنْ أُذُنَيهِ مِن علَى سَارِيَةٍ.

كانَ البيْتُ الذي يَعيشُ فيه برايس وساره روث صَغيراً جداً ومائلاً، حتّى إنَّ إدوارْدَ لَمْ يُصَدِّقْ، في البِدَايةِ، أنهُ مَنْزِلٌ حقيقي. ظنَّهُ في البِدَايةِ خُمَّ دَجاجٍ. وفي الدَّاخِلِ، كانَ هناكَ سَريرانِ وسِراجُ زيتٍ، ولَيْسَ الكثيرَ سوَى ذلكَ. وضَعَ برايس إدوارْد عِنْدَ قَدَمِ أحَدِ السَّريرَينِ، ثُمَّ أشْعَلَ المِصْباحَ.

هَمَسَ برايس: «ساره، ساره روث، علَيْكِ أنْ تَستَيقظي الآنَ ، يا حَبيبَتي، لقَدْ أحضَرْتُ لَكِ شَيئاً.» أخْرَجَ الهارمُونيكا مِنْ جَيْبِه وبادرَ إلى عَزْفِ لَحْنٍ بَسيط.

جلَسَتْ البِنْتُ الصَّغيرَةُ في سَريرِهَا، واجتاحَتها في الحالِ نَوْبَةُ سُعال. وضَعَ برايسُ يدَهُ علَى ظَهْرِها وقالَ لَها: «لا بأسَ، لا بَأس.»

كانتْ صَغيرَةً، ربَّمَا في الرَّابعَةِ مِنْ عُمْرِهَا، ذاتَ شعرٍ أشقرَ مَشُوبٍ بالبياض. وعلى الرُّغم من ضَوءِ المِصْباحِ الشَّحيح، رأى إدوارْد أنَّ لَونَ عَينيْها يُماثلُ لونَ عينيّ برايس البُنِّيَّتَينِ اللَّتين تَتخلّلهما بقعٌ مُذهّبة.

«لا علَيكِ،» قالَ برايس. «اسعُلي كما تشائين.»

امتَثلتْ ساره روث لما قالَه. سَعَلَتْ وسَعَلَتْ وسَعَلَتْ، ومصباحُ الزّيت يَعْكسُ ظِلّها المرتَعشَ علَى جدارِ الكُوخ؛ ظِلاً مُحْدَودِبًا وصَغيرًا ومُنطَويًا علَى نفْسِه. كانَ صوتُ سُعالِها من أكثرِ الأصْواتِ المُثيرةِ للحزنِ التي سمعها إدوارد في حياته، أكثرَ حتى مِن النِداء المنتَحِب لِطائرِ السُّبَّد. وأخيرًا، توقَّفَتْ ساره

روث عَنِ السُّعَالِ.

«تُريدينَ رُؤيةَ ما أحْضَرْتهُ لَكِ؟» قالَ برايس.

أَطرَقَتْ ساره روث برأسِهَا مُوافِقَةً.

«عَلَيْكِ أنْ تُغلِقي عَينَيْكِ.»

أَغلَقَتْ الفَتاةُ عَينَيْهَا.

التقَطَ برايس إدوارْدَ وأمْسَكَهُ بِحَيثُ يَقِفُ مُنتَصِباً، مِثْلَ جُنْدِيّ، عِندَ نِهَايةِ السَّرِيرِ.» لا بأسَ الآن، يُمكِنُكِ فتْحُهُمَا.» فتَحَتْ ساره روث عَينَيْها، وحرَّكَ برايس ساقَيْ إدوارْدَ الخَزَفِيَّتَينِ وذِراعَيْهِ بِحَيْثُ بَدَا كمَا لَوْ أنهُ يَرْقُصُ.

ضحِكَتْ ساره روث وصفَّقَتْ بِيَدَيهَا. وقالتْ: «أَرْنب!»

«إنَّهُ لَكِ يا حَبيبَتِي،» قالَ برايس.

نظرَتْ ساره روث إلى إدواردَ أولاً ثُمَّ إلى برايس، ثُمَّ إلى إدوارْدَ مرّةً أخرى، وعيناها المفتوحتان على وُسْعِهِمَا غَيْرُ مُصدِّقَتَينِ.

«إنهُ لَكِ.»

«لي؟»

سُرْعانَ ما اكتشَفَ إدوارْدُ أنَّ ساره روث نادرًا ما تقُولُ أكثَرَ مِنْ كَلِمَةٍ واحِدَةٍ في كُلِّ مَرَّةٍ. كانَتِ الكَلِمَاتُ، أو بالأحرى تَسلْسُلُ مجموعةٍ من الكَلماتِ في وقتٍ واحد، يُسَبِّبُ لها السُعال.. ولذلك حَرِصَت على ضَبطِ نفسِها، وحَرِصَت على قَوْلِ ما يَنْبغي قولُه فقَط.

«إنَّهُ لَكِ. لقَدْ أحضَرتُهُ خِصِّيصَاً مِنْ أجلِكِ،» هَتَف برايس.

أثارَ هذا التصريح نَوْبةً أخْرَى مِنَ السُّعَالِ لَدَى سارَه روث، وانطَوَتْ علَى نفْسِهَا ثانيةً. وعِنْدَما انتَهَتْ النَّوبَةُ، فرَدَتْ جَسَدَها ومدَّتْ ذراعَيْهَا.

«هذا حَسَنٌ،» قالَ برايس، ثم أعطاها إدوارد.

«يا طِفْلي،» هَمْهَمَتْ ساره روث.

أرجَحَتْ سارةُ إدواردَ إلى الأمام والوراء، وحدَّقَتْ إليه وابتَسَمَتْ. لَمْ يَسْبِقْ أنْ هَدْهَدَ أحَدٌ إدوارْدَ مُطْلَقاً مِنْ قبْلُ مِثلما يُهدهَد الأطفالُ.

أبيلين لَمْ تفْعَلْ ذلكَ، ولَمْ تفْعَلْهُ نيللي، وبَلْ لَمْ يفْعَلْ ذلكَ بكُلِّ تأكيد.. كانَ إحْسَاسًا فَريدًا أنْ يَحْملَكَ أحَدٌ بلُطْف كَبير، وَبخُشونَة مَعَ ذلكَ، وأنْ يُحَدِّقَ إليك بالكثيرِ منَ الحُبِّ.

«هَلْ ستُعطينه اسمًا يا حَبيبَتي؟» سألها برايس.

«جانغلْز،» أجابَت ساره روث من غَير أنْ ترْفَعَ عَينَيْهَا عَنْ إدوارْد.

«جانغلْز، هَهْ؟ إنهُ اسْمٌ جَيِّدٌ، أنا أُحبُّ هذَا الاسْم.»

ربَّتَ برايس رأسَ سارة برِفْقٍ، واستمَرَّتْ هِيَ بالتَّحْديقِ إلى إدوارْد.

«شش.شش،» قالَتْ لإدوارْد وهي تؤَرْجِحُهُ جيئةً وذهابًا.

«مُنْذُ اللحْظَة الأُولى التي رأيتُه فيها،» أضافَ برايس، «عَرَفْتُ أنهُ ينْتمي إلَيكِ، فقُلْتُ لِنَفْسي: هذَا الأرْنبُ هُوَ لِسَاره روث، بالتأكيد.»

«جانغلْز،» غَمْغَمَتْ ساره روث.

في خارجَ الكُوخِ، قَصَفَ الرَّعْدُ، ثُمَّ جَاءَ صَوْتُ المطَرِ

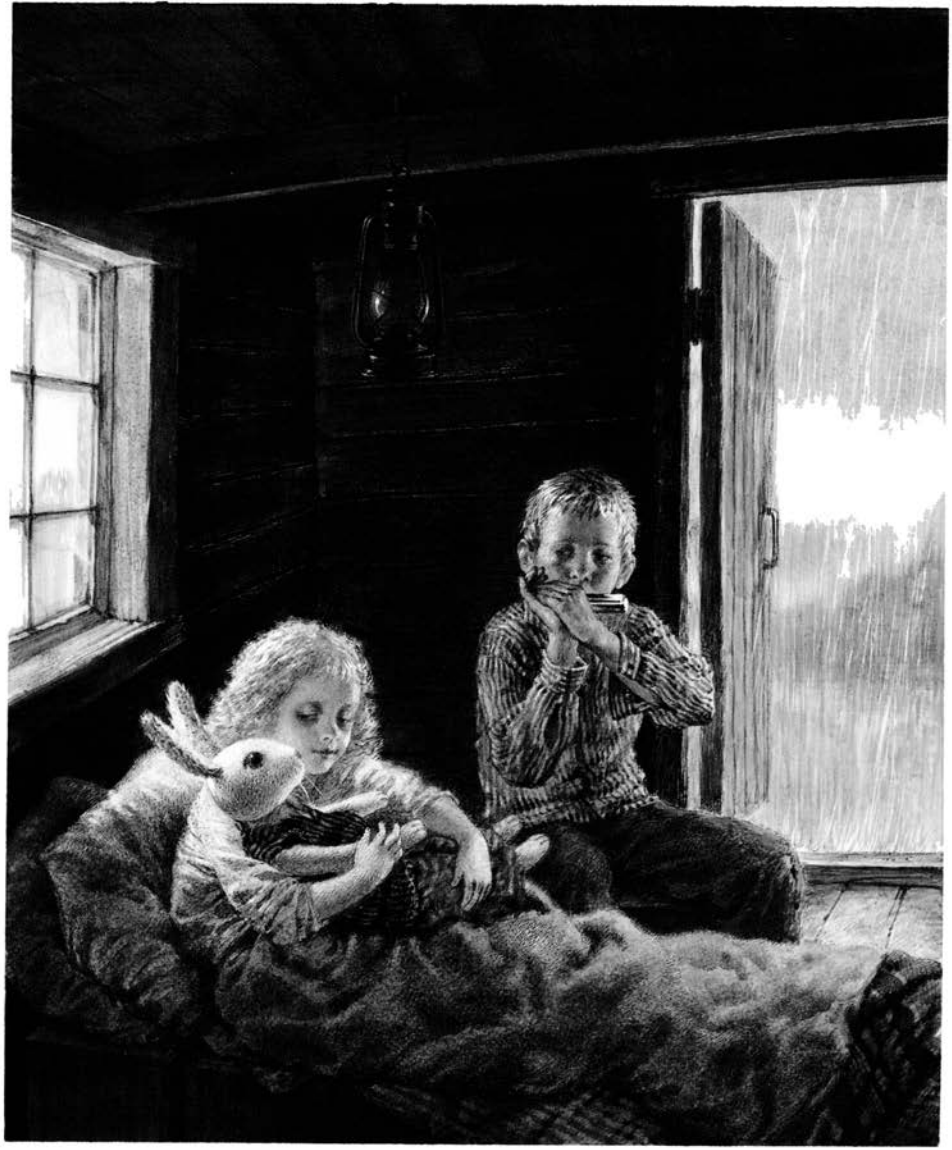

«شش.شش،» قالَتْ ساره لإدوارْد
وهي تؤَرْجِحُهُ جيئةً وذهابًا.

وهُوَ يَسْقُطُ علَى السَّقْفِ المعْدِنِيّ. أرجَحَتْ ساره روث إدواردَ جيئة وذهابًا، وأخْرَجَ برايس الهارمونيكا وبدأ يعزفُ، جاعِلاً لحنه يتناغمُ مَعَ إيقَاعِ المَطَرِ المُنهَمِرِ.

الفصل الثامن عشر

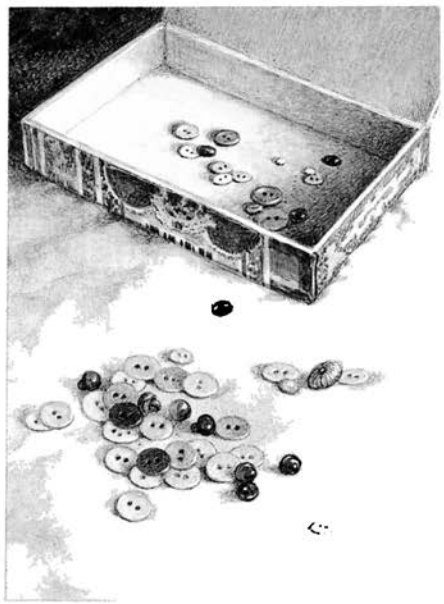

كان لِـ برايس وساره روث أبٌ.

وفِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ مِنْ الصَّباحِ التَّالي، والضوءُ ما يزالُ رماديًا وغيرَ ثابتٍ، استيقظتْ ساره روث وجَلسَت في سَريرِها، تَسْعُلُ. في هذه الأثناء، عادَ الأبُّ إلى البيتِ والتقَطَ إدوارْدُ مِنْ إحْدَى أُذُنيه، وَقالَ: «ما هَذا؟»

«إنَّهُ لُعْبةُ أطفَال،» قالَ برايس.

«لا يَبدُو لي مثل لُعْبَةِ أطْفالٍ،» علّقَ الأبُ.

إدوارْدُ، المتدلّي مِنْ أُذُنٍ واحِدة، كانَ خائفًا لتَيَقُّنه مِنْ أنَّ هذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذي يَسْحَقُ رؤوسَ الدُّمى الخَزَفيّة.

«جانغلْز،» غمْغمتْ ساره روث بيْنَ نوَباتِ سُعالِهَا، ومدَّتْ ذِرَاعَيْهَا.

«إنَّهُ لَهَا، إنهُ ينْتمي إليْها!» قالَ برايس.

أسْقَطَ الأبُ إدوارْدَ علَى السَّريرِ، والتقَطَ برايسُ الأرنَبَ وناوَلَهُ لِسَارَه روث.

«لَيْسَ ذلكَ مُهِمًّا علَى أيِّ حَالٍ،» قالَ الأبُ، إنَّهُ لا يُحدِثُ فَرْقاً، ولا أيَّ فَرْقٍ.»

«بَلْ إنهُ مُهِمٌّ فعلاً،» عارضَه برايس.

«لا تُخاطِبْني بوَقاحَة،» نَهَرَه الأبُ. ورفَعَ يدَهُ ولكَمَ برايسَ علَى فَمِه، ثُمَّ استَدَارَ وغادَرَ المَنْزِلَ.

«لَيسَ عَلَيكَ أنْ تَقْلَقَ بِشَأنِه،» قالَ برايس لإدوارد، «إنَّهُ لَيسَ سِوَى مُسْتأسد. وهو نادراً جداً ما يأتي إلى المَنْزِل.»

لِحُسْنِ الحَظِّ، لَمْ يَعُدْ الأبُ إلى المَنْزِلِ في ذلكَ اليَوم.

خَرَجَ برايس إلى العَمَلِ، وقَضَتْ ساره روث اليومَ في السَّرير، وَهِيَ تَضَعُ إدوارد في حِضْنِهَا، وتَلْعَبُ بصُندُوقٍ مَليءٍ بالأزْرَارِ.

«جميل،» قالتْ لإدوارد وهِيَ تصفُّ الأزرارَ علَى السَّريرِ وتُرتِّبهَا في تَشْكيلاتٍ متَنوِّعَة.

أحيانًا، عندَما تسوءُ نوبةُ السُعال على نحوٍ خاصّ، تَعصِرُ

ساره روث إدواردَ بشدَّة حتّى يعتريه الخوفُ من أن يَنفلقَ إلى نِصْفَين. وبَيْنَ نَوبات السُّعَال، تستغرقُ ساره روث في مَصِّ إحدَى أُذنيْه. ولو أن الأحوالَ عاديةٌ لاعتبرَ إدوارد مِثْلَ هذَا السُّلوكِ التطفُّليّ الدَّبِقِ سُلُوكًا مُزعجًا جدًّا، لكنَّ شَيئاً ما مميّزًا تعلّق بساره روث؛ إذ شعرَ أنه يريد أن يعتنيَ بها، وأن يَحْميَها.. وأرادَ أنْ يَفعَلَ ما في وسعه مِنْ أجْلِهَا.

في نِهَاية اليَوْم، عادَ برايس بقِطْعَةٍ مِنَ البَسكَويت لسارة، وبِكُرَةٍ مِنْ خُيوُط القَنَّب لإدوارْد.

أَمسَكَتْ ساره روث قطْعَةَ البَسْكَويت بكِلْتا يَدَيهَا، وتناولتْهَا بقَضْمَات صَغيرَة مُتردِّدَة.

«يَجبُ أنْ تأكلُيها كلّها يا حَبيبَتي،» قالَ برايس. «دَعيني أحْمِلُ جنْغلْز. لَدَينا أنا وهُوَ، مُفاجَأةٌ لَك.»

أخَذَ برايس إدوارد إلى زاويَة في الغُرفَة، وبسكِّين جَيْبه، قَصَّ أطْوالاً مُختَلفَةً مِنْ خُيوُط القنَّب ورَبَطَها إلى ذِراعَيْ وقَدَمَيْ إدوارد، ثُمَّ رَبَطَ الخُيوُطَ إلى عيدَانٍ مِنَ الخَشَب.

«أترَى؟» قالَ برايس، «فكّرتُ في هذا طَوالَ اليَوم. ما سنفْعَلُهُ هُوَ أنْ نَجْعَلَكَ تَرقُصُ. ساره روث تُحبُّ الرَّقْصَ. وقَدْ

اعتادَتْ أمّي أنْ تَحْملَهَا وتُرقّصَهَا في الغُرْفَة».

نادى برايس علَى ساره روث: «هَلْ تأكُلينَ البَسْكَويت؟»

«أوهُوه!» أجَابَت ساره روث.

وقفَ برايس وقالَ: «انتظري يا حَبيبَتي، لَدَينَا مُفاجَأةٌ لَك. أغْلقي عَيْنَيك،» ثم أخَذَ إدوارد إلى السَّريرِ وهَتَف: «حسَنًا، يُمْكِنُك أنْ تفْتَحيهمَا الآنَ.»

فتحَتْ ساره روث عيْنَيهَا.

«أرقُصْ يا جانغلْز،» قالَ برايس. ثُمَّ، وبيْنَما أخذَ يُحَرِّكُ الخُيوطَ بالعصيِّ بإحْدَى يَدَيه، جعَلَ برايس إدواردَ يَرقُصُ ويَسْقُطُ ويتَلوَّى. وطَوالَ تلْكَ الفَتْرَة، أمسكَ الهارمونيكا بيدِه الأخرى، وَعَزَفَ لَحْناً جَميلاً مفعمًا بالحَيَوية.

ضَحكَتْ ساره روث. ضحكَتْ حتّى اجتاحَتْها نوبةُ سُعال. عندَئذ وَضَعَ برايس إدوارد جانبًا وأخَذَ ساره روث في حِضْنِه وأرْجَحَها ومَسَحَ عَلى ظَهْرِهَا.

سَألَهَا: «أتريدينَ تنَفُّسَ بَعْضَ الهَواءِ النَّقيّ؟ دَعينا نأخُذُكِ

خَارجَ هَذَا الهَوَاءِ القَذِرِ الآسِنِ، آه؟»

حَمَلَ برايس شَقِيقَتَهُ إلى الخارجِ. وتَرَكَ إدوارد مُسْتَلقِيًا عَلَى السَّرِيرِ؛ وفكَّرَ الأرنَبُ مَرَّةً أخْرَى، وهو يُحَدِّقُ عاليًا إلى السَّقْفِ المُلَطَّخِ بالدُّخَانِ، في الأجْنحَة. لَوْ كانَ لدَيه جَناحَان، فكَّرَ، لَطارَ فَوْقَ العالَمِ، إلى حيْثُ الهواء نقيّ وعليل، ولأخذَ ساره روث مَعَهُ حاملاً إيّاها بيْنَ ذِراعَيه. عاليًا، عاليًا جدًا فَوقَ العالَمِ بالتأكيد، وهُناكَ ستتمكّن من التنفّسِ بلا سُعَال.

بعْدَ دَقيقَةٍ. عادَ برايس إلى المَنْزِلِ، وهُوَ ما يَزَالُ يَحْمِلُ ساره روث.

«إنها تُريدُكَ أنتَ أيضاً،» قالَ مخاطبًا إدوارْد.

«جانغلْز»، هتَفَتْ ساره روث، ومدَّتْ لَهُ ذِراعَيْهَا.

وهكَذَا، حَمَلَ برايس ساره روث. وحَمَلت ساره روث إدوارد، ووقَفَ ثلاثَتُهُمْ في الخَارجِ.

«عليكَ أن تَبحَثي عَنْ نَجْمٍ ساقِطٍ،» قالَ برايس. «تِلْكَ النُّجُومُ هِيَ التي تَحْمِلُ السِّحْرَ.»

وقَفُوا هادِئينَ لِوَقْتٍ طَويلٍ. ينظرونَ ثلاثَتُهُمْ عَاليًا إلى السَّمَاءِ. توَقَّفَتْ ساره روث عَنْ السُّعَالِ، حتى ظَنَّ إدوارد أنّهَا

ربّما قد غَفَت.

«هُناك،» قالتْ، وأشارَتْ إلى نَجْمَةٍ تَسْري راسِمَةً خَطًّا لامِعًا خِلالَ السَّماءِ اللَّيليَّة.

«تَمَنَّيْ أمنيَةً يا حَبيبَتي. تمنَّيْ أيَّ شَيْءٍ تُريدينَهُ،» قالَ برايس بصوت غَدا لحظتها عاليًا ومتوتّرًا.

ومَعَ أنَّهَا كانَتْ نَجْمَةَ ساره روث، إلا أنَّ إدوارد أيضًا تَمَنّى أُمنِيةً.

telegram @
yasmeenbook

الفصل التاسع عشر

مرَّتْ الأيامُ. وأشْرَقَتْ الشَّمْسُ وغَرُبَتْ، وأشْرَقَتْ وغَرُبَتْ مرَّةً تِلْوَ المرَّة. في بَعْضِ الأحْيان، كانَ الأبُ يَعُودُ إلى المَنْزِلِ وأحْياناً لا يعُودُ. أصْبحَتْ أذنُا إدوارْد مُبَلَّلَتين وثَقيلَتين، ولَمْ يهْتَمّ. تَمَزَّقَتْ سُترتُهُ عَلَى نَحْوٍ شبهِ كاملٍ تقْريباً ولَمْ يُضَايقْهُ ذلكَ. ومع أنّه أضحى يُعْتَصَرُ إلى حدٍّ قَريبٍ مِنَ المَوْتِ، منحه ذلكَ شُعوُرًا طَيبًا. في المسَاءَات، وعلَى يدَيْ برايس، علَى نِهَايات خيُوط القنَّب، كانَ إدوارد يَرْقُصُ ويَرْقُصُ.

مَرَّ شَهْرٌ، ثُمَّ شَهْرَانِ، ثُمَّ ثَلاثَةٌ. وازدادت حالَةُ ساره روث سُوءاً. في الشَّهْرِ الخامسِ، رفَضَت تَناوُلَ الطعام. وفي الشَّهْرِ السَّادسِ بدَأتْ تَسْعُلُ الدَمّ. غَدَت أنفاسُها مُتقَطِّعَةً ومُتَرَدّدَةً.

كما لو أنها تُحاولُ أنْ تتذَكَّرَ، ما بين نفسٍ وآخر، مَاذا تفْعَلُ، أو كَيفَ يَكونُ التَّنفّسُ.

وقف برايس عِنْدَ رأسِهَا وقال: «تنفَّسي يا حَبيبَتي.»

وَراحَ إدواردُ يُفَكِّرُ مِنْ الأعْماقِ السَّحيقَةِ في بئْرِ ذراعَيْها: تنفَّسي.. رجاءً تَنَفَّسي.

توقَّفَ برايس عَنْ مُغادَرَةِ المنْزِلِ. لازمَ البَيْتَ طَوالَ اليوْمِ وَهُوَ يَحْمِلُ ساره روث في حُجْرِهِ ويهَدْهِدُها جيئَةً وذَهاباً ويُغَنّي لَهَا؛ وفي ذاتِ يوْمٍ مُشْرِقٍ في شَهْرِ أيلولَ، توقَّفَتْ ساره روث عَنِ التنفُّسِ.

«أوه.. كلاَّ.. أوه يا حَبيبَتي، خُذِي نَفَسًا صَغيرًا، أرْجُوكِ!» نَشَجَ برايس.

سقَطَ إدوارد مِنْ بَيْنِ ذِراعَيْ ساره روث في الليلَةِ السَّابقَةِ، ولَمْ تسْألْ عَنْهُ مرَةً أخْرَى. وهكَذَا، وبيْنَمَا وجهُهُ يَستَقبلُ الأرضَ، وذِراعَاهُ فوْقَ رأسِهِ، اسْتَمَعَ إدوارد إلى برايس وهُوَ يَبْكِي. استَمَعَ إلى الأبِ وهُوَ يعُودُ إلى المنْزِلِ ويَصْرُخُ علَى

برايس. واستَمَعَ إلى الأبِ وهُوَ يَبكي.

«ليس لكَ أن تبكي،» صَاحَ برايس، «لا حقّ لكَ في البُكَاءِ. أنتَ لَمْ تُحِبَّها مطلقًا. أنت لم تَعْرِفْ أيَّ شَيْءٍ عَنِ الحُبِّ.»

«لقَدْ أحبَبْتُهَا، لقَدْ أحبَبْتُهَا!» أجابَه الأبُ.

فكَّرَ إدوارد: لقَدْ أحبَبْتُهَا أنا أيْضاً، لَقَدْ أحبَبْتُهَا، والآنَ رَحلَت. كَيْفَ يُمْكِنُ أنْ يَحْدُثَ هَذَا؟ تساءَلَ. كَيْفَ يُمْكِنُ أنْ يتحَمَّلَ الحَياةَ في عالَمٍ يخلو مِن ساره روث؟

استمَرَّ الشِّجَارُ والصُّراخُ بَيْنَ الأبِ والابْنِ، ثُمَّ جاءَتْ لَحْظَةٌ مُخيفَةٌ عندَمَا أصَرَّ الأبُ علَى أنَّ ساره روث تنْتَمي إلَيه، علَى أنّهَا ابنَتُهُ، طِفلَتُهُ، وأنَّهُ سَيأخُذُهَا لِيدْفنَهَا.

«إنّها لَيْسَتْ لَكَ،» زَعَقَ برايس. «لا تَسْتَطيعُ أنْ تأخُذَهَا. إنّهَا لَيْسَتْ لَكَ.»

لكنَّ الأبَ كانَ أكبَرَ وأقْوَى، ولذلك انتَصَرَ. أصْبَحَ البيْتُ الصَّغيرُ شديدَ الهُدُوءِ. لَمْ يسْتَطِعْ إدوارد أنْ يسْمَعَ صَوْتَ

برايس يتحَرَّكُ في الجِوارِ وهو يُدمْدِمُ بَينَه وبَينَ نَفْسِه. ولم يَدرِ إلا والصَّبيُّ يَلتَقِطُه.

«هيَّا يا جانغِلْز. إننّا مُغادِران،» قالَ برايس، «سَنذَهبُ إلى مَمْفيس.»

«هيّا يا جانغلز! إننا مغادران.»

الفصل العشرون

«كَمْ مِنَ الأرانبِ الرّاقصَة رأيتَ في حَياتِكَ؟» قال برايس لإدوارد. «أسْتَطيعُ أنْ أقولَ لكَ كَمْ رأيت: واحِدًا، أنتَ. هكذَا سنَكْسبُ أنا وأنتَ بعْضَ النقُود. لقَدْ رأيتُ ذلكَ في آخرِ زيارَةٍ لي لمفيس. هُناكَ يقَدِّمُ النّاسُ أيَّ نَوْعٍ مِنَ العُروضِ علَى زاوِيَةِ الشّارعِ تَماماً، والناسُ يدْفَعونَ لهُمْ مُقابِلَهُ. لقَدْ رأيْتُ ذلكَ.»

استَغْرَقَ المسيرُ إلى البلْدَة اللّيلَ كُلَّهُ. سارَ برايس بلا تَوَقُّف، حَاملاً إدوارد تَحْتَ إحْدَى ذراعَيه ومُتحَدِّثًا إلَيه طَوالَ الوقْت. حاوَلَ إدوارد أنْ يستَمع، لكنَّ شعُورَ الفزَّاعَة المُروِّعَ عادَ إلَيه من جديد، ذلكَ الشُّعُور الذي ألَمَّ به يومَ عُلّقَ من أُذُنيه في حَديقَة المرأة العَجوز. الشُّعُورُ بأنَّ لا شَيْءَ يهُمُّ، وبأنَّ شَيئًا لَنْ يَهُمَّ بعْدَ الآنَ.

لَمْ يشْعُرْ إدواردُ بأنهُ أجْوَفُ فحَسْب؛ وإنّمَا كانَ يتألّمُ أيضًا. أصبح كُلُّ جُزْءٍ مِنْ جسْمِه الخزفيّ يؤلِمُهُ. تَألّم مِنْ أجْلِ ساره روث. أرادها أنْ تضُمَّهُ. وأرادَ أنْ يَرقُصَ لَهَا.

وقدْ رقَصَ فِعْلاً، لكنَّ ليس لساره روث. رقَصَ إدواردُ للغُرَباءِ علَى زاويَةِ شارعِ قَذرٍ في مَمْفيس. وعَزَفَ برايس الهارمونيكا وحَرَّكَ خُيوطَ إدوارد، وإدوارد ينْحَني ويَمْسَحُ بقدَمَيه الأرضَ ويتلوَّى، والنّاسُ يتوقّفُونَ، يُحَدِّقونَ، ويُشيرونَ ويضْحَكونَ. علَى الأرْضِ أمامَهُمْ كانَ صُنْدوقُ أزرارِ ساره روث، مفتوحَ الغِطاءِ، ليشَجِّعَ النَّاسَ علَى إسْقَاطِ بعْضِ النُّقودِ فيه.

«مَامَا.. انظُري إلى الأرنَب. أريدُ أنْ ألمَسَهُ،» هتفَ طِفْلٌ صَغيرٌ. ومَدَّ يدَهُ باتجاه إدوارد.

«كلاَّ.. إنهُ قَذرٌ،» أجَابَت الأمُّ وسحَبَتْ طِفلَها إلى الوَرَاءِ، بَعيدًا عَنْ إدوارد، وأردَفَت: «وَسخ!»

وقَفَ رجُلٌ يَعْتَمِرُ قُبَّعَةً وحدَّقَ إلى إدوارد وبرايس.

«إنَّ الرَّقْصَ خَطيئَةٌ!» قالَ الرَّجُلُ. ثُمَّ، وبعْدَ صَمْتٍ طويلٍ، أضاف: «إنّهَا خَطيئَةٌ أنْ تَرْقُصَ الأرانبُ علَى وجْهِ الخُصُوص.»

خلَعَ الرَّجُلُ قبَّعَتَهُ وضَمَّهَا إلى قلْبِه. ووَقَفَ وراقَبَ الصَّبيَّ

والأرنَبَ لبعْضِ الوَقْتِ. وأخيراً، أعَادَ وضْعَ القُبَّعَةِ علَى رأسِهِ وسَار مُبتَعداً.

تَطاولَتِ الظِّلالُ. أصبَحَتِ الشَّمْسُ كُرَةً مُغْبرَّةً برْتُقاليةً مُنخَفضَةً في السَّمَاءِ. وشَرَعَ برايس في البُكَاءِ. رأى إدوارد دمُوعَهُ وهِيَ تَنْهَمِرُ وتَسْتقرُ علَى الرَّصيفِ. لكنَّ الصَّبيَّ لَمْ يتوقَّفْ عَنْ عَزْفِ الهارمونيكا. ولَمْ يَجعَلْ إدوارد يَتوقَّفْ عَنِ الرَّقْصِ.

وقَفَتِ امرأةٌ عَجُوزٌ تتّكئُ علَى عُكَّازٍ قَريبًا منْهُمَا. حدَّقَتْ إلى إدواردَ بعَينَينِ عَميقَتَينِ قَاتمَتَينِ.

فكَّرَ الأرْنبُ الرَّاقصُ: بيليغرينا؟

أطرَقَتْ لَهُ برَأسِها.

«انظُري إليَّ،» قالَ لَهَا وذراعاه وساقاه تتأرجَحَان. «انظُري إليَّ، لقَدْ تحقَّقَتْ أمنيَّتُك. لقَدْ تعلَّمْتُ كَيفَ أحبُّ. وهُوَ شَيْءٌ مُرَوِّعٌ. إنَّني مَكْسُورٌ. قَلْبي مَكْسُورٌ. سَاعِديني.»

استدارَتِ المرْأةُ وابتَعَدَتْ وهِيَ تَعْرُجُ.

عُودي، أصْلحيني، فكَّرَ إدوارد.

بكى برايس أكثَرَ. وجعَلَ إدواردَ يرقُصُ أسْرَعَ.

وأخيراً، عِنْدَما رَحَلتِ الشَّمْسُ وأظلَمَتِ الشَّوارعُ، توقَّفَ

برايس عَنْ عَزْفِ الهارمُونيكا.

«لقَد انتهيتُ الآنَ،» قالَ.

تركَ إدوارد يسْقُطُ علَى الرَّصيفِ، وأردفَ: «لَنْ أبكي مرَّةً أخْرَى.» ثم مَسَحَ أنفَهُ وعَينَيه بظاهرِ يده؛ التقطَ صُندوقَ الأزْرارِ ونظرَ فيهِ وقال: «لقَدْ حصَلْنا علَى بعْضِ النُّقودِ لِنَبتاعَ شَيئاً نأكُلُهُ، هَيّا يا جانغلْز.»

الفصل الحادي والعشرون

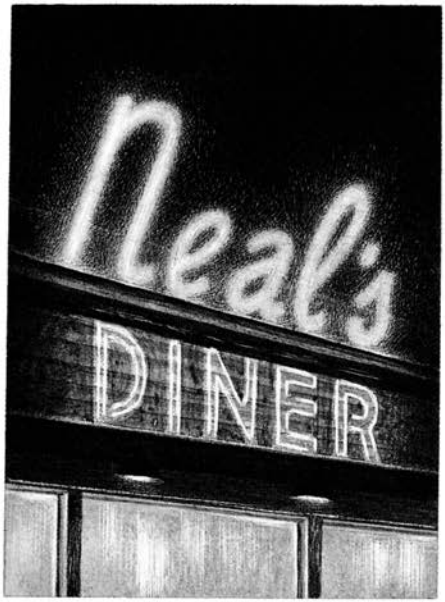

كانَ اسْمُ المطْعَم: مطعَمُ نيل. كُتبَتْ

الكلمَةُ بِحُروفٍ فلورنستيَّة كبيرَةٍ حَمْراءَ، ما انفكّت تُضيءُ وتنْطَفِئُ. كانَ الجوُّ في الدّاخِلِ دافئًا ومُشْرقًا ومفعمًا برائِحَةِ الدَّجاجِ المقْليِّ والخبْزِ المُحمَّصِ والقَهْوَةِ.

جلَسَ برايس إلى الطاولَةِ الكَبيرَةِ ووَضَعَ إدوارد علَى مَقْعَدٍ بِجِوارِه. وأسْنَدَ جبْهَةَ الأرنَبِ إلى حافَّةِ الطّاولَةِ حتّى لا يَقَع.

«ماذا تُريدُ أنْ تتناوَلَ، يا حُلْو؟» قالَتِ النادلَةُ لبرايس.

«أعْطِيني قِطعةً من الكَعْكَةِ المُحَلاةِ، وبَعْضَ البيْضِ،» قال برايس. «وأريدُ شَريحَةَ لَحْمٍ كبيرةً أيضًا، وخبزًا مُحَمَّصًا وقهوةً.»

انحَنَت النَّادلَةُ إلى الأمَامِ وشَدَّتْ إحْدى أُذُنَيّ إدوارد، ثُمَّ دَفعَتْ بِهِ إلى الخَلْف حتّى يتسنّى لها أن ترَى وَجهَه.

«هَلْ هذَا الأرْنبُ لَكَ؟» قالَتْ لبرايس.

«نعَمْ يا سَيِّدتي، إنهُ لِيَ الآنَ، كانَ لأُخْتي.»

مَسَحَ لورنس أنفَهُ بِظَاهِرِ يَدِهِ وتابعَ: «إننَا نعْمَلُ في الاستِعْراضِ، أنا وهُوَ.»

«أحقًا؟» هَتَفت النادلةُ التي تَضعُ شريطًا على ردائها يحملُ اسمها: «مارلين». تَفَحَّصَت وَجهَ إدوارد، ثُمَّ أفلتَت أُذُنَهُ فَسَقَطَ إلى الأمامِ حَتّى اسْتَرَاحَ رَأسُهُ علَى الطَّاولَةِ مَرَّةً أُخْرَى.

هيَّا يا مَارلين، فَكَّرَ إدوارد، ادفعيني، افعَلي بِي ما تَشائينَ. مَاذا يهُمُّ ذلكَ؟ إنّني مكْسُورٌ، مَكْسُور.

أُحضرَ الطَّعَامُ لبرايس، وأَكَلَهُ برايس كُلَّهُ من غَيرِ أنْ يرْفَعَ رأسَهُ عَنْ الطبّقِ.

وفيما راحت مارلين تُخلي الطاولةَ من الصحونِ الفارغة قالَتْ: «حسَنًا.. كنْتَ جَائِعًا بِكُلِّ تأكِيدٍ. لا ريب في أنَّ عَمَلَ الاسْتِعْراضِ صعبٌ.»

«نعَمْ يا سَيِّدَتي،» أجابَها برايس.

وضَعَتْ مارلينُ الفاتورَةَ تَحْتَ فِنْجَانِ القَهْوَةِ. فالتقَطَها برايس ونظرَ إلَيْهَا، ثُمَّ هَزَّ رأسَهُ.

«ليْسَ لدَيَّ ما يكْفِي،» قالَ لإدوارد.

عندَمَا عادَتْ مارلين ومَلأتْ كُوبَهُ بالقَهْوَةِ قال لها: «سيِّدَتي، ليْسَ لدَيَّ مَا يكْفي.»

«ماذا، يا سُكَّر؟»

«لَيْسَ لدَيَّ ما يكْفي مِنَ النُّقُود.»

توقَّفَتْ عَنْ صَبِّ القَهْوَةِ ونَظرَتْ إليْه. «عليكَ إذًا أنْ تَتَحَدَّثَ إلى نيل بهذا الخصوص.» تبيَّنَ أنَّ نيل هُوَ مالكُ المكانِ والطَّاهي في الوَقْتِ نَفْسِه. كانَ رجُلاً ضخْماً أحمَرَ الشَّعْرِ، أحْمَرَ الوَجْه. وسُرعانَ ما أقبلَ مِن المطْبخ حَامِلاً مغرَفَةً مُسْتويَةً في إحْدَى يدَيه.

«دخَلْتَ إلى هُنا جَائعاً. صَحيح؟» قال لبرايس.

«صَحيحٌ يا سَيِّدي،» أجابه برايس ومسَحَ أنفَهُ بِظاهرِ يَدِه.

«وقَدْ طلبْتَ بعْضَ الطَّعامِ وأنا طهَوْتُهُ وأحْضَرتُهُ مارلين

إليكَ. صَحيحٌ؟»

«أظنُّ ذلِكَ،» ردّ عليه برايس.

«تظُنُّ؟» زعقَ نيل، وصفَقَ المِغْرَفَةَ علَى الطَّاولَةِ بعنفٍ.

«نعم يا سَيدي. أعْني، كلاَّ يا سَيِّدي!» قال برايس وهو يَقْفِزُ من مَكَانه.

«أنا.. طهَوْتُ.. الطعامَ.. لَكَ!» زَمْجَرَ نيل.

«نعَمْ يا سَيِّدي!» قال برايس. ثم عاجل إلى التقاطِ إدوارد من المِقْعَدِ العالي وضَمَّه إليه. كَفَّ كُلُّ مَنْ في المطعَمِ عَنِ الأكْلِ. وجلسوا يحَدِّقونَ إلى الصبيّ والأرنبِ ونيل. مارلين وحدها أشاحَت بنظرِها بَعيدًا.

«أنتَ طلبْتَهُ، ومارلين قدَّمتْهُ، وأَنتَ الآن ذلكَ الطعام. أريدُ نقودي يا هذا!» صاح نيل وهو يطرقُ الطَّاولةَ بِالمِغْرَفةِ طرقًا خفيفًا.

تنحْنحَ برايس وقالَ: «هلْ سبَقَ لَكَ أنْ شاهدْتَ أرْنباً يرْقُصُ؟»

«كيفَ ذلكَ؟» سأله نيل.

«هلْ سبَقَ لَكَ في حيَاتِكَ أنْ رأيتَ أرْنباً يَرْقُصُ؟»

وضَعَ برايس إدوارد على الأرضِ وبدَأ بسَحْبِ الخيُوطِ المرْبوطَةِ إلى قدَمَيْهِ، جَاعلاً إياهُ يقُومُ بحَرَكَةِ رقْصٍ بَطيئَةٍ. ووَضَعَ الهارمونيكا في فَمِهِ وعَزَفَ أغْنيةً حَزينَةً تَناغمت مَعَ الرَّقْصةِ.

ضَحكُ شَخْصٌ ما.

أبعدَ برايس الهارمونيكا عن فَمِهِ وقَالَ:

«يستَطيعُ أنْ يرقصَ أكثَرَ إذا ما أردتَ مِنْهُ ذلِكَ. يسْتطِيعُ أنْ يرْقصَ لِيدْفَعَ ثَمَنَ مَا أكَلْتُ!»

حدَّقَ نيل إلى برايس. ثُمَّ، وبِلا سابِقِ إنذارٍ، هجَمَ وأمْسَكَ بإدوارد.

«هَذَا هَو رأيي في الأَرَانب التي تَرقُصُ،» قالَ نيل مُلوِّحًا بإدواردْ مِنْ قَدَمِهِ.. لَوَّحَ بِهِ حتّى ارتطمَ رأسُه بِحَافَّةِ الطَّاولَةِ بقُوَّةٍ.

وتصاعدَ صوتُ شيءٍ يَتَكَسَّر.
صرَخَ برايس.
والعالَمُ؛ عالَمُ إدوارد، غَشِيَهُ السوادُ الحالِك.

الفصل الثاني والعشرون

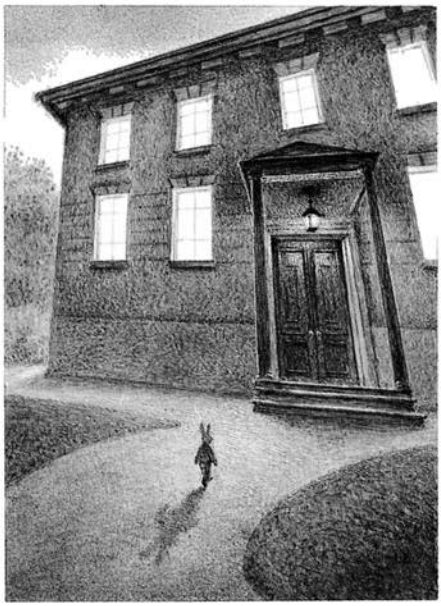

كانَ الوَقْتُ غُروباً، وإدواردُ يَسيرُ وحدَه على رَصيف، واضِعاً قَدَماً أمامَ الأخْرَى بلا مُسَاعَدَة مِنْ أيِّ شَخْصٍ. وكانَ يرتَدي بدْلةً رائِعَةً مصْنوعةً مِنَ الحَريرِ الأَحْمَرِ.

سارَ علَى طُولِ الرَّصِيفِ، ثُمَّ انعَطَفَ إلى مَمَرٍّ يفْضي إلى مَنْزِلٍ ذي نَوافذَ مُضَاءَة.

أعْرِفُ هَذَا المنْزِلَ، فكَّرَ إدوارد؛ إنهُ مَنْزِلُ أبيلين. أنا في شَارِعِ مِصْرَ.

خَرَجَتْ لوسي راكِضَةً مِنَ البابِ الأماميِّ للمَنْزِلِ، وهِي تَنْبَحُ وتقْفزُ وتَهُزُّ ذَيلَها.

«هُناكَ يا فَتاة!» قالَ صَوْتٌ عَميقٌ خَشِنٌ.

نَظرَ إدوارد إلى الأعْلَى، ورأى بَلْ هناك، واقفًا عندَ الباب.

«مرْحَبًا يا مالوني، هتف بَلْ، مَرْحَباً، يا كَعْكَةَ الأرانب القديمة الطيبة. كُنّا في انتظارِكَ.» فتَحَ بَلْ البابَ ودَلَفَ إدواردُ إلى الدَّاخِلِ.

كانتْ أبيلين هُناكَ، ونيللي ولورنس وبرايس.

«سوزانا!» هتفت نيللي.

«جانغلْز!» غَمْغَم برايس.

«إدوارد!» صاحَت أبيلين ومدَّتْ لَهُ ذراعَيهَا .

لكنَّ إدوارد وقَفَ بِلا حَرَاكٍ. نظَرَ حَوْلَهُ في أنْحَاءِ الغُرْفَةِ.

«هَلْ تبْحَثُ عَنْ ساره روثٍ؟» سألَه برايس.

أطرقَ إدواردُ برأسِهِ.

«عليكَ أنْ تذْهَبَ إلى الخارجِ إذا ما أردْتَ رُؤيةَ ساره روث،» أوضحَ برايس.

وهكَذَا، ذَهَبوا جميعاً إلى الخارج، لوسي، وبَلْ، ونيللي، ولورنس، وبرايس، وأبيلين وإدوارد.

«هُناكَ تَمامًا،» قالَ برايس، وأشارَ عَاليًا إلى النجُوم.

«نعَمْ،» وافقه لورنس، «ذاكَ هُوَ بُرْجُ ساره روث.» ورَفَعَ إدواردَ عَاليًا ليضَعَهُ علَى كَتِفِه. «يمْكِنُكَ أنْ تَرَاهَا تَمامًا هُناكَ.»

شَعَرَ إدوارد بلَسْعَة حُزْنٍ عَميقٍ، حُلْوٍ وأليفٍ. لماذَا علَيهَا أنْ تكُونَ بعيدَةً كُلَّ هذَا البُعْد؟

فكَّرَ: لَوْ أن لديَ أجْنحَةً، لطرتُ إليهَا.

مِنْ طَرَفِ عينِه، لمحَ الأرنبُ شَيئاً يُرَفْرِفُ. فالتفتَ ناظرًا إلى ما وراءَ كتفِه ورآها؛ أجمَلَ أجْنحَة رآها في حَياته، بُرْتُقاليةً وحَمْرَاء وزرْقاءَ وصَفْراءَ. وكانتْ علَى ظَهْرِه، إنَّها تعوُد إلَيه. إنَّها أجنحَتُهُ هُوَ.

كَمْ هِيَ جَميلَةٌ هذه الليلةُ! إنهُ يَمْشي وَحْدَه، ويَمْتَلكُ بدْلَةً أنيقَةً حَمْراءَ جديدَةً. والآنَ، أصبَحَتْ لَهُ أجْنحَةٌ. بَاتَ في إمكانه أنْ يَطيرَ إلى أيِّ مَكانٍ، أنْ يَفْعَلَ أيَّ شَيْءٍ. لماذا لَمْ يستَطِعْ أنْ يُدْرِكَ ذلكَ مِنْ قَبلُ؟

حلَّقَ قلْبُهُ في داخلِ صَدْرِه. مَدَّ جَناحَيْه وطارَ عَنْ كتفَيْ لورنس، أفْلَتَ مِنْ يدَيْه وارتَفَعَ عَاليًا في سَمَاءِ اللَّيلِ؛ قاصدًا

النجوم.. قاصدًا ساره روث.

«كلاَّ!» صَرخَتْ أبيلين.

«أمْسِكُوهُ!» قالَ برايس.

وطارَ إدوارد أعْلَى.

نَبَحَتْ لوسي.

«مالوني!» زعقَ بَلْ. وبحَرَكَةٍ رائعَة، استَطاعَ الإمْسَاكَ بقدَمَيْ إدوارد وجذَبهُ ليَسْتَلَّهُ منَ السَّمَاءِ ويُناضِلَ حتّى يُنْزِلَهُ إلى الأرْضِ. «لا يُمْكِنُكَ الذَّهابَ بَعْدُ،» قالَ له بَل.

«إبقَ مَعَنا،» ناشَدَتهُ أبيلين.

خَفَقَ إدواردُ بِجَناحَيه، لكِنَّ بَلا فَائِدَةٍ. كانَ بَلْ يثبِّتُهُ جَيدًا إلى الأرْضِ.

«إبْقَ مَعَنا،» كرّرت أبيلينُ.

شرَعَ إدواردُ في البكَاءِ.

«لا أسْتطيعُ تَحَمُّلَ فقْدانه مَرَّةً أخْرَى،» قالَتْ نيللي.

«ولا أنا. فهذا سَيَكسرُ قَلْبي،» أجابَتْها أبيلين.

أدنَت لوسي وَجْهَهَا منْ وَجْهِ إدوارد.

لَعَقَتْ الدُّمُوعَ التي انْهَمَرَت من عَيْنَيه.

الفصل الثالث والعشرون

«مَصْنوعٌ جَيّدَاً بَشَكْلٍ استثنائيّ،» قالَ الرَّجُلُ الذي كانَ يُمَرِّرُ قِطْعَةَ قُماشٍ دافِئَةٍ علَى وَجْهِ إدوارد، «قطعَةٌ فَنيّةٌ، يمكن القول – قطْعَةٌ فَنيَّةٌ على قدرٍ من القَذارَة التي يَتعَذَّرُ تصديقُها. ولكنَّهُ يظَلُّ فنًّا مَعَ ذلكَ. والقَذارَةُ تُمْكِنُ مُعالجَتُهَا. تَمَاماً كمَا عُولِج رأسُكَ المَكْسُورِ.»

نظَرَ إدواردُ في عَينَيِّ الرَّجُلِ.

«آه، ها أنت ذا،» قالَ الرَّجُلُ، «يبدو لي أنَّك تَسْتَمِعُ الآنَ. كانَ رأسُكَ مَكْسُوراً، وأنا أصْلَحْتُهُ. لقَدْ أعَدْتُكَ مِنْ عَالَمِ الأمْوات.»

فَكَّرَ إدوارد: إنَّهُ قَلْبي... قلبي هو المكسورُ .

«لا..لا..» أردفَ الرَّجلُ، «لا دَاعي لأنْ تشْكُرَني. هذا

مِنْ دَوَاعِي سُروري. اسْمَحْ لي بِأنْ أقَدِّمَ نفْسي: أنا لوسيوس كلارك، مُصْلِحُ الدُّمى... رأسُكَ... هَلْ تَسْمَحُ لي بِأنْ أخْبِرَكَ؟ هَلْ سَيُضايقُكَ ذلكَ؟ حَسَناً، إنّني دَائماً أقولُ أنَّ علينا مواجَهةَ الحقيقةِ مُباشَرَةً، لا أقْصِدُ التَّلْميحَ إلى شَيْءٍ. رأسُكَ، يا سَيِّدي الصَّغيرُ، كانَ مُهَشَّمًا إلى إحدى وعِشْرينَ قِطْعَةً»

كرَّرَ إدوارد بلا مبالاةٍ: إحدى وعِشْرينَ قِطْعَة؟

هزَّ لوسيوس كلارك رأسَه موافقًا. وقالَ: «إحدى وعِشْرينَ. وإذا نَحّينا التواضُعَ جانبًا، ينْبَغي أنْ أعْتَرِفَ بأنَّ مُصْلِحَ دُمَى أقَلَّ مِنّي شأنًا، مُصْلِحَ دُمَى لا يَتَمَتَّعُ بِمَهَاراتي، رُبَّما لما نَجحَ في إنقاذكَ. لكِنْ، دعْنا لا نتَحَدَّثْ عمَّا كانَ ليحْدُثَ. دعْنا نتَحَدَّثُ بدَلاً مِنْ ذلكَ عَمَا حَدَثَ فِعْلاً. إنكَ كاملُ. لقَدْ تَمَّ سَحْبُكَ مِنْ حَافَّةِ النِّسْيانِ علَى يَدِ خادِمكَ المتَواضِعِ، لوسيوس كلارك.» وَهُنا، وضَعَ لوسيوس كلارك يدَهُ علَى صَدْرِهِ وانحَنى بعُمْقٍ أمامَ إدوارد.

كانَتْ هَذِهِ في الحَقيقَةِ خُطْبَةً مِنَ النَّوعِ الذي يُوقِظُ انتِباهَ

المرء، وقد استلقى إدواردُ على ظَهْرِه مُحاولاً أنْ يَسْتَوعِبَها. كانَ مُمَدَّدًا على طاولةٍ خَشَبيَّة، في غُرْفَةٍ بلا ضَوْءٍ شَمْسيٍّ ينْسَكِبُ داخلاً مِنْ نافذَةٍ عَالية. وقَدْ تحطَّمَ رَأسُهُ، فيما يَبدُو، إلى إحدى وعِشْرينَ قِطْعَةً وأُعيدَ وَصْلُهُ الآنَ ليُصْبحَ قِطْعَةً واحِدَةً. لَمْ يكُنْ يَرْتَدي بَذْلَةً حَمْرَاءَ. بَلْ إنهُ لَمْ يَرتَدِ في الحَقيقةِ أيَّ مَلابِسَ على الإطْلاقِ. كانَ عَاريًا مَرَّةً أخرى، ولَيس لَهُ جَناحَان.

وعِنْدَئذٍ تذَكَّرَ: برايس، العَشاءَ، ونيل يُلَوِّحُ بِهِ في الهَوَاءِ.

برايس.

«رُبَّمَا تتساءَلُ عَنْ صَديقِكَ الصَّغيرَ، ذلكَ الذي يَسيلُ أنفُهُ باسْتِمْرارٍ،» قالَ لوسيوس، لقَدْ أحْضَرَكَ إلى هُنا، باكياً، مُتَوَسِّلاً ومُلتمسًا مُسَاعَدَتي: 'أعِدْ إلصَاقَهُ مَرَّةً أخْرى'، قال: 'أعِدْ إلصَاقَهُ ثانيةً'.»

«أخْبَرْتهُ، قلْتُ لَهُ، 'سَيِّدي الصَّغير، أنا رَجُلُ أعْمالٍ. يُمْكِنُني أنْ أعيدَ لَصْقَ أجْزاءِ أرنَبِكَ مَرَّةً ثانيَةً، مُقَابِلَ ثَمَنٍ. والسُّؤالُ هُوَ: هَلْ تَسْتَطيعُ أنْ تَدْفَعَ الثَّمَنَ؟'. لَمْ يَسْتَطِعْ. بالطَّبْعِ

لَمْ يَستَطِعْ. قالَ إنهُ لا يَسْتَطيعُ.

«قلْتُ لَهُ عِنْدَئذٍ إنَّ أمَامَهُ خيارَين. خيارَين فَقَطْ. الخَيارُ الأوَّلُ أنْ يَذْهَبَ لِطَلَبِ المسَاعَدَة في مَكَانٍ آخَرَ. والخَيارُ الثّاني أنْ أقومَ بإصْلاحِكَ بأكْبَرِ قَدْرٍ تُتيحُهُ لي قُدُراتي الكَبيرَة، ثُمَّ تُصْبحُ عِنْدَئذٍ لي ولَيْسَ لَهُ بَعْدَ الآنَ، وإنّمَا لي أنا.»

وهُنا، غَرِقَ لوسيوس في الصَّمْتِ. أطْرَقَ، مُثْنيًا علَى نَفْسِه. ثُمَّ قالَ: «خَيارَان فَحَسْب. وصَديقُكَ اختارَ الثّاني. لَقَدْ تَخَلَّى عَنْكَ مقابلَ معالجتكَ. ذلكَ غَيْرُ عَاديٍّ بالفعلِ.»

فَكَّرَ إدوارد: برايس.

صَفَّقَ لوسيوس كلارك بيَدَيْه: «ولكنْ، لا تَقْلَقْ يا صَديقي. لا تَقْلَقْ. إنّني أنْوي حقًا بأنْ أحْتَفظَ بالجُزْءِ الخَاصِّ بي مِنَ الصَّفْقَة. سَأعيدُكَ إلى ما يُخيّل لي أنَّه كانَ مَجدَكَ السّابق. سَتحصُل على أُذنين من فِرَاءِ الأرْنب وَذَيلٍ مِنْ فِرَاءِ الأرانب. وسَيَجْري إصْلاحُ شَارِبَيكَ واستبدَالُهُمَا، وسيُعاد تلوينُ عَينَيكَ بِلَوْنٍ أزْرَقَ مُدْهِش.

وسَترتَدي أجْمَلَ البدْلاتِ.

«بعدئذ، سأجني في ذاتِ يوم عَائدَ استِثمَاري فِيكَ. كلُّهُ في الوقْتِ المُناسِبِ، كُلُّهُ فِي الوَقْتِ المُناسِبِ. في مِهْنَةِ الألْعابِ، لدينا قَوْلٌ سائرٌ: هُناكَ زَمَنٌ حَقيقِيٌّ وهُناكَ زَمَنٌ لِلدُّمى. وأنْتَ يا صَديقِي، قَدْ دَخَلْتَ زَمَنَ الدُّمَى.»

الفصل الرابع والعشرون

وهكَذَا، أُصلِح إدوارد تولين، وأُلصِقت جميعُ أجزائه بعضُها إلى بعض. ونُظِّف ولُمِّعَ، وكُسيَ بسترةٍ جميلةٍ، ووُضِعَ علَى رفٍّ عَالٍ لِلْعَرْضِ. ومِنْ علَى هذَا الرَفِّ، كانَ بوُسْعِ إدوارد أن يرَى المحلّ بأكمله: الطاولَةَ التي يعْمَلُ عَلَيهَا لوسيوس كلارك، والشّبابيكَ التي تُطِلُّ علَى العالَمِ في الخَارج، والبابَ الذي يدخلُ منه الزبائنُ ويخرجون. مِنْ علَى هَذَا الرَفِّ، رأى إدوارد برايس وهُوَ يفْتَحُ البابَ في ذات يَوْم ويَقِفُ علَى العتَبَة، الهارمونيكا الفِضِّيةُ في يدِهِ اليُسْرى تلْمَعُ بِقُوَّةٍ في ضَوْءِ الشَّمْسِ المتدَفِّق مِنْ خِلالِ النَّافذَة.

«سيِّدي الصَّغير..» قالَ لوسيوس، «أخْشَى أنَّنا قدْ عقَدْنا اتفَاقًا.»

«ألا أسْتَطيعُ أنْ أرَاهُ؟» سأل برايس، ومَرَّ بيده علَى أنْفه، ومَلأتْ تلْكَ الإيمَاءَةُ إدوارد بِشُعورٍ غَامِرٍ مِنَ الحُبِّ والحنينِ. «أُريدُ فقَطْ أنْ أنظُرَ إلَيْه.»

تَنهَّدَ لوسيوس كلارك، وقالَ: «يُمْكنُكَ أنْ تنْظُرَ.. يُمْكنُكَ أنْ تنْظُرَ ثُمَّ علَيكَ أنْ تَذْهَبَ ولا تعُودَ مرَّةً أخْرى. لا أسْتطيعُ أنْ أستقْبلَكَ في مَحلّي كُلَّ يَوْم لتطوفَ حولَ ما فقَدْتَ.»

«نعَمْ يا سَيِّدي،» قالَ برايس.

تنهَّدَ لوسيوس مَرَّةً أخْرَى. نَهَضَ عَنْ كُرْسيِّه وذَهَبَ إلى رَفِّ إدواردَ والتقَطَهُ وحَمَلَهُ بحَيْثُ يَسْتطيعُ برايس أنْ يَراهُ.

«هيه، جانغلْز.. تَبدُو بخير،» هتفَ برايس، «يومَ رأيتُكَ آخرَ مرّةٍ بدوتَ مُريعاً، كانَ رأسُكَ مهشّمًا و...»

«لقَدْ أعدتُ لَصقَه مِن جديد، كما سَبَق أنْ وعدتُكَ،» قالَ لوسيوس.

أطرَقَ برايس مُوافقًا ومَسَحَ أنفَهُ بِظاهِرِ يَدِه.

«هَلْ أستطيعُ أنْ أحْملَهُ؟»

«كلاَّ!» قالَ لوسيوس.

أطرَقَ برايس مَرَّةً أخْرَى. وانبَرَى لوسيوس كلارك قائلاً:

«يُمْكِنُكَ أنْ تنْظُرَ.. يُمْكِنُكَ أنْ تنْظُرَ ثُمَّ علَيكَ أنْ تَذْهَبَ ولا تعُودَ مرَّةً أخرى.»

«قُلْ لَهُ: وداعًا. لَقَدْ تَمَّ إصْلاحُهُ.. لقَدْ تَمَّ إنقاذُهُ. الآن يَجِبُ أنْ تُوَدِّعَهُ.»

«وَدَاعًا!» قالَ برايس.

لا تذْهَبْ، فكَّرَ إدوارد، لا أسْتطيعُ تَحَمُّلَ ذَهَابِكَ.

«هيّا، عليكَ أن تذهبَ الآن،» قالَ لوسيوس كلارك.

«حاضِر يا سَيِّدِي،» أجابَ برايس. لكِنّهُ ظلَّ واقِفًا بلا حَراك ينظرُ إلى إدوارد.

«اذهَبْ... اذهَبْ!» ألحّ لوسيوس كلارك.

فكَّر إدوارد: رجاءً لا تَفْعَلْ.

استدَارَ برايس. خَطا خَارِجًا عبْرَ بابِ محَلِّ مُصْلح الدُّمى. انْغَلَقَ البابُ، ورَنَّ الجَرَسُ.

كانَ إدوارْدُ وَحِيدًا.

الفصل الخامس والعشرون

مِنَ النَّاحيَة التقنيَّة، لَمْ يكُنْ إدوارد وَحيدًا بالطبَّع. كانَ محَلُّ لوسيوس كَلارك غاصًّا بالألعاب –دُمى علَى هَيئَة سيِّدَات، لُعَبٌ علَى شَكْلِ أطْفَال، لُعَبٌ بعُيون مَفْتوُحَة وأخرَى بعُيون مُغْلَقَة، لُعَبٌ بعُيون مُلَوَّنة، ودُمىً ترتَدي أرْدِيَةَ الملِكات، وأخْرَى تَرتَدي أزْياءَ البحَّارَة.

لَمْ يكُنْ إدوارد يهتَمُّ أبدَاً بالدُّمى. فهو يَراهَا مُزعجَةً ومُنطَويَةً عَلَى ذاتهَا، مُهْتزَّةً وحَمْقَاءَ. وقَدْ تعَزَّزَ هَذَا الرأيُ فَورًا عَلى يَدِ رَفيقَته في الرَّفِّ، دُميَة منَ الخزَف الصِّينيِّ ذاتِ عيُونٍ خضْراءَ وشفَاه حَمْراءَ، كانتْ تَرْكَعُ علَى رُكْبَتَيهَا.

«ما أنْتَ؟» هتَفت بِصَوتٍ عَالي النَّبْرَة عِنْدَما وُضِعَ إدواردُ على الرَفِّ إلى جِوارِهَا.

«أنا أرنبٌ،» أجابَ إدوارد.

أفلتَت الدُمْيَةُ صَرْخَةً صَغيرَةً، وقَالَتْ: «إنَّكَ فِي المكَانِ الخَطَأ. هذَا محَلٌّ للدُّمى، ولَيْسَ لِلأرَانِب.»

لَمْ يَقُلْ إدواردُ شَيْئاً.

«ابتَعِدْ،» قالَت الدُمْيَةُ.

«بودِّي أنْ أبتعدَ لو استَطَعتُ، لَكِن مِنَ الواضِح أنّي لا أسْتَطيعُ،» أجابَ إدوارد.

بَعْدَ صَمْتٍ طَويلٍ، قالَتِ الدُمْيَةُ: «عَساكَ لا تظنّ بأنَّ أحَدًا سَيشْتريكَ.»

مرَّةً أخْرى، لَمْ يَقُلْ إدوارد شَيْئًا.

«الناسُ الذين يأتونَ إلى هُنا يُريدُون الدُّمى، ولَيْسَ الأرَانبَ. إنّهُمْ يُريدُونَ لُعَبَ الأطفَالِ أو الدُّمى الأنيقَةِ مِنْ أمْثالي، دُمىً بفَساتينَ جَميلَةً، دُمىً بعُيُونٍ تَفْتَحُ وتنْغَلِقُ.»

«لستُ مهتمًّا بأنْ يَشتريَني أحَدٌ،» ردَّ إدوارد.

«لا تُريدُ أنْ يَشتَريكَ أحَدٌ؟» همْهمَتْ الدُمْيَةُ بأنفاسٍ مُتقَطِّعَة، «لا تُريدُ أنْ تمتلكَكَ فَتاةٌ صَغيرَةٌ تُحبُّكَ؟»

ساره روث! أبيلين! تردَّدَتْ أسْماؤهُنَّ في رأسِ إدواردَ مِثْلَ

نغَمَاتِ أغنيَةٍ حَزينَةٍ حُلْوَةٍ.

«تَمَتَّعْتُ بِحُبِّ الآخَرينَ مِنْ قَبْلُ،» أوضحَ إدوارد. «أحبَّتني فَتاةٌ اسْمُها أبيلين. وأحبَّني صيَّادٌ وزوجَتُهُ، ومُتَسَكِّعٌ وكَلْبَتُهُ. وأحبَّني صَبِيٌّ يَعْزِفُ الهارمونيكا وفَتاةٌ طَواهَا المَوْتُ. لا تُحَدِّثيني عَنِ الحُبِّ. لقَدْ عرَفْتُ مَا هُوَ الحُبُّ.»

أخْرَسَتْ هَذِهِ الخُطْبَةُ الجيَّاشَةُ بِالعَاطِفَةِ رَفيقَةَ إدوارد على الرَفِّ لِوَقْتٍ طَويلٍ.

«حَسَناً..» قالَتْ أخيراً، «مَعَ ذَلِكَ، ما زلتُ أرى أنَّ أحَداً لَنْ يَشتريكَ.»

لَمْ يتحَدَّثْ أيٌّ مِنْهُما إلى الآخَرِ ثَانِيَةً. بيعَت الدُمْيَةُ بعْدَ ذَلِكَ بأسْبوعَيْنِ إلى جدَّة اشْترَتْهَا لحَفيدها. قَالَتْ للوسياس كلارك: نَعَمْ، تِلْكَ الدُّمْيَةُ هُناكَ، ذاتَ الفُسْتانِ الأخْضَرِ. إنّهَا جَميلَةٌ جدًّا.»

«نَعَمْ، إنّهَا جميلةٌ.. أليْسَتْ كَذلِكَ؟» أجاب لوسياس، ثُمَّ تَناوَلَ الدُمْيَةُ عَنِ الرَفِّ.

فكَّرَ إدوارد: «وَداعاً، وأهْلاً بالرَّاحَة.»

ظلَّتِ البُقْعَةُ المجاوِرَةُ للأرْنبِ خاليَةً لِبَعْضِ الوَقْتِ. ويَوْمَاً

بعْدَ يَوْم، كانَ بابُ المحَلِّ ينْفَتحُ ويَنْغَلقُ، سَامحاً بدُخُولِ شَمْسِ الصَّباحِ المبكِّرَةِ أو ضَوْءِ المسَاءِ المتأخِّر، مُحَرِّكاً قُلوبَ الدُّمى في صُدورِهَا، وكلُّهَا تُفَكِّرُ بمَتى سينْفَتحُ البابُ، بحَيْثُ يَحْدُثُ في هذهِ المرَّةِ أنْ يَكُونَ الدَّاخِلُ إلى المحَلِّ هُوَ الشَّخْصُ الذي يُريدُهَا.

كانَ إدوارد هو المخالفُ الوحيدُ للقاعدة. إذ وطَّنَ نفْسَهُ على عَدَمِ الأمَلِ، علَى أنْ لا يَسْمَحَ لقَلْبِه بأنْ يَقْفزَ في صَدْرِه. وطَّنَ نفْسَهُ علَى إبقَاءِ قَلْبِه صَامتًا، ساكنًا، ومُوصَدًا بإحْكامٍ.

لقَدْ سَئِمْتُ منَ الأمَلِ، فكَّرَ إدوارد تولين.

ثمّ، في ذاتَ يَوْمٍ عنْدَ الغَسَقِ، ومُباشَرَةً قَبْلَ أنْ يُغْلقَ المحَلَّ، وضَعَ لوسيوس كَلارك دُمْيَةً أخْرَى علَى الرَفِّ إلى جانبِ إدوارد.

telegram @
yasmeenbook

الفصل السادس والعشرون

«**هَيّا** يا ميلدي. قابِل الأَرنبَ الدُّمْيَةَ،»

قال لوسيوس.

وخَرَجَ مُصْلِحُ الدُّمى مُبتعِدًا بعْدَ اَنْ أَطفأ المصابيحَ واحِداً تِلْوَ الآخَرَ.

في ظلامِ المحَلِّ، استطاعَ إدوارد أنْ يَرَى أن رأس الدُّمْيَةِ قَدْ انكَسَرَ، مِثلَ رأسِه، وتَمَّ إصْلاحُهُ. بدا وجْهُهَا في حَقيقَةِ الأمْرِ شبكَةً مِنَ الشُّقوقِ، وكانتْ ترتَدي قُبعّةَ أطفَالٍ.

«كيفَ حالُكَ؟ أنا مَسْرورَةٌ بالتعرُّفِ إليكَ،» قالتْ بصَوتٍ عَالٍ.

«مَرْحَباً!» أجابَ إدوارد.

«هلْ أنتَ هُنا مُنذُ وقتٍ طَويلٍ؟»

«منْذُ شهُورٍ وشُهوُر ردّ إدوارد، لكنّني لا أهتَمُّ، فالأماكن كلّها مُتشابِهَةٌ بالنِسْبة لي.»

«أوه، ليْسَ بالنسبَة لي،» قالت الدُمْيَةُ، لقَدْ عِشْتُ مائةَ عام. وطَوالَ هَذا الوقْت كُلِّه، عرفتُ أماكنَ مثْلَ الجَنَّة وأخْرَى مثل الجَحيم. بعْدَ بَعْض الوَقْت، تتعلَّمُ أنَّ الأمْكنَةَ مختلفةٌ. وأنكَ تُصْبحُ دُمْيَةً أخْرَى في كُلِّ مَكانٍ أيضاً، مُخْتلِفَةً تَماماً.»

«عمرُك مئةُ عَام؟» سألَ إدوارد.

«إنّني كَبيرَةُ السِّنّ، وقَدْ أكَّدَ مُصْلحُ الدُمَى هذا. قالَ وهو يقُومُ بإصْلاحي إنَّ عُمْري هُوَ كذلكَ علَى الأقَلِّ؛ مائةَ عَامٍ علَى الأقَلِّ. عُمْري مائةُ عَام علَى الأقَل».

فكَّرَ إدواردُ في كُلِّ شَيْءٍ حصَلَ لَهُ في فَتْرَة حَياته القَصيرَة: أيَّ أنْوَاع المغَامَرات كُنْتَ لتخُوضَ لَوْ أنكَ عِشْتَ في العالَم قَرْناً كاملاً؟

«إنّني أتسَاءَلُ عمَّنْ سَيأتي مِنْ أجْلي هَذه المرَّة،» قالت الدُمْيَةُ العَجُوز، «سَيأتي أحَدٌ مَا. دائِماً يأتي أحَدٌ ما. مَنْ سيَكونُ يا تُرَى؟»

«أما أنا فلا أهْتمُّ بِأنْ يأتي أحَدٌ مِنْ أجْلي،» أجابَها إدوارد.

«لكنَّ ذلكَ مُروِّعٌ!» قالت الدُمْيَةُ: «ليس للاسْتمرارِ أيّ معنى ما دام هذا شعورَك. لا مَعْنى علَى الإطْلاق. يجب أن تفيضَ بالتوَقُّع. يجبُ أنْ يغمرَكَ الأمل. وعليك أنْ تتَساءَلَ دومًا عمَّنْ سيُحِبُّكَ، وعمَّنْ ستُحبُّ أنتَ تاليًا.»

«تَعِبْتُ مِنْ أنْ أكونَ مَحْبوباً،» قالَ لها إدوارد، «وتعِبْتُ مِنْ حُبّي للآخَرينَ. إنَّ ذلكُ مُؤْلِمٌ جدّاً.»

«بِشْ.. أينَ هِيَ شَجاعَتُكَ؟» سألته الدُمْيَةُ العجُوزُ.

«في مَكان آخَرَ، كمَا أعتَقِدُ،» أجابَها إدوارد.

«إنكَ تُخَيِّبُ أمَلي،» قالت. «إنكَ تُخَيِّبُ أمَلي كَثيراً. إذا لَمْ تَكُنْ لدَيكَ النيَّةُ لأنْ تُحبَّ وتُحَبَّ، فالرحلةُ كلّها لا مَعنى لها ولا غَاية. ويُمْكِنُكَ أيضاً أنْ تقْفزَ مِنْ عَلَى هَذَا الرَفِّ الآنَ علَى الفَوْر، وتَجْعَلَ نفْسَكَ تتكَسَّرُ إلى مِليونِ قِطْعَةٍ. ضَعْ نِهَايةً لِذلكَ.. هَيا، افعَلْ ذَلكَ الآنَ.»

«لو أنّ هَذا في استطاعتي لقفزتُ!» قالَ إدوارد.

«هَلْ أدْفَعُكَ؟» سألتْ الدُمْيَةُ العَجُوزُ.

«كلاَّ، شُكْراً لَكَ،» أجابها إدوارد. وغمغَمَ لِنَفْسِهِ: «كما لَوْ انَّك تَسْتَطيعينَ ذلكَ.»

«ماذا قُلْتَ؟»

«لا شَيْءَ!» ردَّ إدوارد.

أصْبَحَ الظَّلامُ في مَحَلِّ الألْعَابِ الآنَ غَامِرًا. وجلَسَتِ الدُمْيَةُ العَجُوزُ وإدوارد على رفّهمَا وهما يحدّقان أمامَهُمَا.

«إنكَ تُخَيِّبُ أمَلي،» قالتِ الدُمْيَةُ العجُوزُ.

كلمَاتُهَا جعَلَتْ إدوارد يفكّر في بيليغرينا: بالخنْزيرِ البرّيِّ والأميرَة، بالاسْتِمَاعِ والحُبِّ، بالرُّقَى واللَّعَنات. ماذا لَوْ أنَّ هنَاكَ أحَدًا يَنتَظِر حتّى يُحبَّهُ؟ ماذا لَوْ أنَّ هناكَ أحَدًا يَسْتَطيعُ هُوَ أنْ يُحبَّهُ مرَةً أخْرَى؟ هَلْ هذا ممكن يا تُرى؟

شَعَرَ إدوارد بقَلْبِهِ وهُوَ يَخْفقُ.

كلا، قالَ لقَلْبِهِ.. لَيْسَ مُمْكِناً.. لَيْسَ مُمْكناً.

في الصَّباحِ، جاءَ لوسيوس كلارك وفتَحَ المَحَلَّ، وهتَفَ بِهِمْ: «صباحُ الخَيْرِ يا أعزَّائي.. صباحُ الخَيْرِ يا أحبَّتي.» أسْدَلَ السَّتائرَ على النَّوافذِ، وأشعَلَ الضَّوْءَ فَوْقَ أدَواتِهِ، وقَلَبَ الشّاخِصَةَ على البابِ ليضَعَ كلِمَةَ: مَفْتُوح.

كانَ الزَّبونُ الأوَّلُ فَتاةً صَغيرَةً جاءَتْ مَعَ أَبيهَا.

«هَلْ تبْحَثانِ عَنْ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ؟» سَألَهُمَا لوسيوس كلارك.

«نعَمْ، إنّني أبْحَثُ عَنْ صَديقٍ.» أجابت الفتاةُ.

حَمَلَها والدُها علَى كتفَيْهِ وجالا ببُطْءٍ في المحَلِّ. وتفَحَّصَت الفَتاةُ جميعَ الألعابِ بعِنَايةٍ. ثُمَّ نظَرَتْ إلى إدوارد في عَينَيْهِ، وأومأت له برَأسِها.»

«هَلْ قرَّرْتِ يا ناتالي؟» قالَ والدُها.

«نعَمْ،» أجابته، «أريدُ الدُمْيَةَ التي تعتمرُ قُبَّعَةَ الأطفالِ.»

«أوه، إنها دميةٌ قديمةٌ جدًا..» قالَ لوسيوس كلارك، «إنَّهَا أنْتيكا!»

«إنَّهَا بِحَاجَةٍ إليَّ،» ردّتْ عليه ناتالي بحَزْمٍ.

بجوارِ إدوارد، أطلقَتِ الدُمْيَةُ تَنْهيدَةَ ارْتِياحٍ. وبدَتْ كما لو أنَّها تعدّل مِن جلستِها. جَاءَ لوسيوس وتَناولَها عَنِ الرَفِّ وسلَّمَها لناتالي. وعندَما غَادَرا، عندَما فتحَ والدُ الفَتاةِ البابَ لابنَتِهِ وللدُمْيَةُ العَجُوزِ، انسابَ شُعَاعٌ مُشْرقٌ مِنْ ضوءِ

الصَّباحِ مُتدَفِّقاً إلى الدَّاخِلِ، وسَمِعَ إدوارد بكُلِّ وضُوحٍ، كأنّها ما تزال تجْلسُ بجواره، صوتَ الدُّمْيَةِ العجُوز.

«إفتَحْ قَلْبَكَ،» قالَتْ بلُطْف، «سيأتي أحَدٌ ما.. سَيأتي أحَدٌ مّا منْ أجْلكَ. لكنَّ عَلَيْكَ أوَّلاً أنْ تفْتَحَ قَلْبَكَ.»

انغَلَقَ البابُ.. واختَفَى ضَوءُ الشَّمْسِ.

سَيأتي أحَدٌ ما.

خفَقَ قَلْبُ إدوارد. وَفكَّرَ لأوَّلِ مرَّة مُنذُ وقْت طَويل، في المنْزِلِ في شَارعِ مِصْرَ وفي أبيلين وهِيَ تُعَبِّئُ ساعَتَهُ ثُمَّ تنْحَني عَلَيْه وتضَعُهَا عَلَى ساقِهِ اليُسْرى وهِيَ تَقولُ: «سَأعودُ إلى المنْزِلِ منْ أجْلكَ».

كلاَّ، كلاَّ، قالَ لِنفْسِه. لا تُصَدِّقْ ذَلِكَ.. لا تدَعْ نفْسَكَ تُصَدِّقُ ذلكَ.

لكنَّ أوانَ التَّحذيرِ كانَ قد فات.

سَيأتي أحَدٌ ما منْ أجْلكَ.

كانَ قلْبُ الأرْنَبِ الخَزَفي قَدْ شَرَعَ، مرَّةً أخْرى، في الانفِتَاحِ.

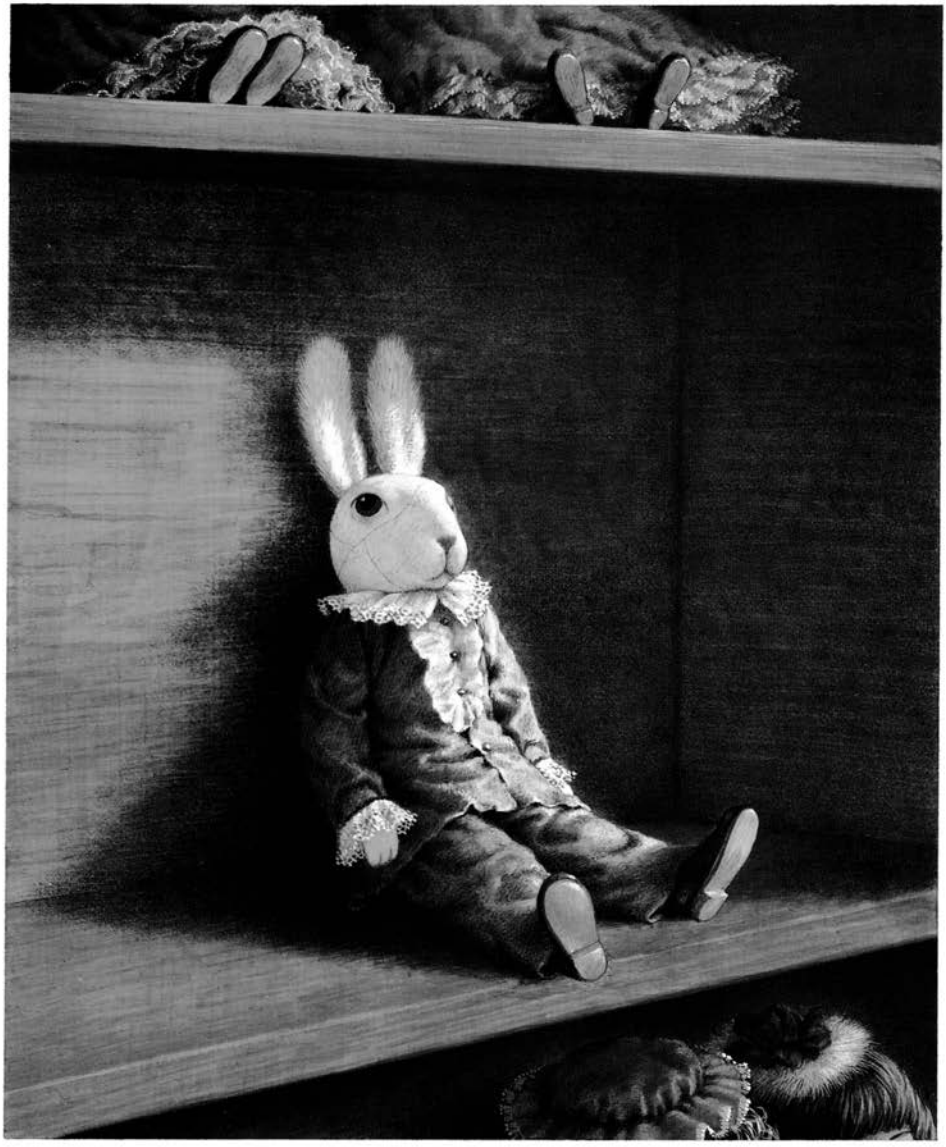

شَعَرَ إدوارد بقَلْبِهِ وهُوَ يَخْفِقُ.

الفصل السابع والعشرون

مَرَّت الفُصُولُ، الخَريفُ والشِّتاءُ، والرَّبيعُ والصَّيفُ. وَدَخَلَتْ أوراقُ الأشْجَار مَعَ الرِّيح مِنْ خلال بابِ دكّانِ لوسيوس كلارك المفْتوح، ودخلَ رذاذُ المَطَر، وضَوءُ الرَّبيعِ الأخْضَرُ المُحْتَشدُ بالأمَلْ. جَاءَ النّاسُ وذَهَبُوا؛ الجدَّاتُ وجَامعو الدُّمى والفَتَياتُ الصَّغيرَاتُ مَعَ أمهَاتِهِنَّ.

وانتَظَرَ إدوارد تولين.

تَحَوَّلَتِ الفُصُولُ إلى سَنَواتٍ.

وانتَظَرَ إدوارد تولين.

ظلّ يُكَرِّرُ كَلِمَاتِ الدُمْيَةِ العجُوزِ مرَّةً تِلْوَ المرَّةِ حتّى فتَحَتْ طَريقًا ناعِمًا للأمَلِ فِي عَقْلِه: سَيَأتِي أحَدٌ ما. سَيَأتِي أحَدٌ ما مِنْ أجْلِكَ.

وَكانَت الدُمْيَةُ العَجُوزُ علَى حَقّ.

لقَدْ جَاءَ أحَدٌ ما.

كانَ الوقْتُ رَبيعًا، والدنيا ماطرة، وأزْهَارُ القَرانْيا تنْتَثِرُ علَى أرضِ ورشة لوسيوس. كانتْ فتاةً صَغيرَةً، رُبَّمَا في الخامسَة مِنْ عُمْرِهَا.. وَفيما راحت أمُّها تناضلُ لتُغْلقَ مظَلَّةً زرْقَاءَ، تَحوَّلت الفَتاةُ الصَّغيرَةُ في المحَلِّ، وتريّثت لتُحَدِّقَ بجِدّيةٍ إلى كُلِّ لُعبةٍ على حدة، قبل أن تَنتقلَ إلى تَفحُّص أخرى.

عنْدَمَا وصَلَتْ إلى إدوارْد، وقَفَتْ أمَامَهُ لِمَا بدَا أنهُ وقْتٌ طَويلٌ. نظَرَتْ هيَ إلَيْه وَنَظرَ هو إليْها بدَوْرِه.

سَيَأتي أحَدٌ ما، قالَ إدوارد... سَيَأتي أحَدٌ ما مِنْ أجْلي.

ابتَسَمَت الفَتاةُ ثُمَّ وقَفَتْ علَى أطْرَاف أصَابعهَا وتنَاوَلَتْ إدوارد عَنِ الرَفِّ. هَدْهَدَتْهُ بيْنَ ذراعَيها. حَمَلَتْهُ بالطَّريقَة العَنيفَة واللَّطيفَة نفسها التي حَمَلَتْهُ بهَا ساره روث.

فكَّرَ إدوارد: أوه، إنني أتذَكَّرُ هَذَا.

«سيدتي، هلا أعَرْت ابنتك الانتباه!» قالَ لوسيوس كلارك، «إنّهَا تَحْملُ لُعْبَةً هَشَّةً جدًّا، وعَزيزَةً جدًّا، وثَمينَةً جدًّا.»

«ماغي، ماذا لَدَيْكِ؟» قالَت المرأة وهي تُمْعنُ النظرَ من

تحتِ المظلّةِ التي ما زالت مفتوحةً.

«إنه أرْنب،» صاحتْ ماغي.

«مَاذا؟» قالت الأم.

«أرْنبٌ.. أنا أريدُهُ،» قالتْ ماغي مرَّةً أخْرَى.

«تذكَّري أننا لَنْ نشْتَرِيَ شَيئًا اليَومَ، إننا ننْظُرُ فَحَسْب،» قالَتِ المرأةُ.

«سيِّدتي، رجاءً!» قال لوسيوس كلارك.

جاءَتِ المرْأةُ ووَقَفَتْ قُرْبَ مَاغي، ونَظَرَتْ إلى إدوارد.

أحَسَّ الأرْنبُ بالدُّوارِ.

تساءَلَ، لِوَهْلَةٍ، إن انشقَّ رأسُهُ وانفَتَحَ مَرَّةً أخْرَى، وإنْ لم يكنْ يحلمُ.

«ماما انظُري!» قالَتْ ماغي، «انظُري إلَيه!»

«إنّي أرَاهُ،» أجابتها المرأةُ.

فجأةً، أسْقَطَتِ المرأةُ المظلَّةَ، ووَضَعَتْ يدَهَا علَى القِلادَةِ التي تتدَلّى من عُنُقِهَا. وعِنْدَئذٍ، رأى إدوارد أنّهَا ليستْ قِلادَةً على الإطلاق، بل هي ساعةٌ.. سَاعَةُ جَيْب.

سَاعَتُهُ هُوَ.

«إدوارد؟» هتفَت أبيلين.

«أجَلْ،» أجابهَا إدوارد.

مَرَةً أخْرَى قالَتْ وهِيَ تَبْدو مُتأكِّدَةً هَذِهِ المرَّة: «إدوارد!»

«نعَمْ... نعَمْ... نعَمْ...» رَدّدَ إدوارد.

إنَّهُ أنا.

كلمة أخيرة

telegram @
yasmeenbook

في ذات مَرَّة، كانَ هُناكَ أرنَبٌ خَزَفيٌّ أحبَّتْهُ فَتاةٌ صَغيرَة. ذَهَبَ الأَرنَبُ في رِحلَةٍ في المُحيطِ وسَقَطَ من على سطْحِ السَّفينَة، وأنقذَه صيَّادٌ. ودُفِنَ تَحْتَ أكْوامِ القُمامَة واستَخْرَجتْهُ منْ هُناكَ كَلْبَة. سافَرَ لوَقْتٍ طويل مَعَ المُتسكِّعينَ والمُتَشَرِّدينَ وعَمِلَ لفترة قصيرة فَزَّاعَةَ طُيُورٍ.

في ذات مَرَّةٍ، كانَ هناكَ أرنَبٌ، أحَبّ طِفلَةً صغيرةً وشاهَدَها وهيَ تَموت.

رقَصَ الأرنَبُ في شَوارِع مَمفيسَ. وانكسرَ رأسُه وتهشّمَ، وأُعيد وَصْلُ أجْزائِه مَعاً على يَدِ مُصلِحٍ للدُمَى.

وأقسَمَ الأرنَبُ على أنْ لا يَرتكِبَ خَطأَ الوُقُوع في حُبِّ أحَدٍ مَرَّةً أُخْرى.

في ذات مرَّة، كانَ هُناكَ أرْنبٌ رقَصَ في الحديقَة في فصْلِ الرَّبيع مَعَ ابنَةِ امرأةٍ أحبّتْهُ في بدايَةِ رحْلَتِه. كانت الفَتاةُ تُوَرجِحُ الأرنَبَ وهي ترقُصُ بِهِ في دوَائِرَ. رقصا أحيانًا بسُرعَة كبيرَة، كما لو أنّهما يَطيران. وأحْيانًا، بدا كما لو أن لديهما أجنحَةً.

في ذات مَرَّة، في ذات مَرَّة بالغَة الرَّوْعَة، كانَ هُناكَ أرْنَبٌ تاهَ طَويلاً، ثُمَّ وَجَدَ، أخيرًا، طَرِيْقَهُ إلى البَيْتِ.